هنريك إبسن

مسرح

إيولف الصغير

ترجمة محمود سامي أحمد

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة على بن صالح الرقمية

هنريك إبسن

إيولف الصغير

مسرح

ترجمة : محمود سامي أحمد

1894

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

مقدمة

هنريك إبسن

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

هنريك ابسن مارد متوحد في صراع دائم مع المجتمع بتقاليده، والناس بنفاقهم وتصنعهم، والدولة ببطشها وطغيانها.

كان قلقاً في عبقرية، كما نعته جول لومتر الناقد الفرنسي الناصع الرقيق، تمرد على المجتمع، وعارض التقاليد السائدة والمواضعات الاجتماعية التي اصطلح عليها الناس في علاقاتهم الاجتماعية. وأكد الفردية الصلبة الشامخة التي تحرص على حقوقها وتؤكد استقلالها ضد الناس والمجتمع والدولة، وتقف في وجه كل ما يحد منها أو ينتقص من ذاتيتها، وكان في هذا خير من تأثر بكنت Kant في تقديسه للواجب والآمر المطلق والشخصية الانسانية التي ينبغي أن تعامل دائما على أنها غاية وليست أبداً وسيلة، كما تأثر بفشته Fichte في تقديسه للأنا والذات الأخلاقية وجعل الكون ينبثق عن الأنا، وأعلى مراتب الأنا هو أنا الفنان، انه الأنا العبقري ذو السلطان الشامل على الأحياء والأشياء.

وكان متشائماً رجولى التشاؤم: متشائما فيما يتصل بالماضي والحاضر والمستقبل معاً؛ متشائما فيما يتعلق بعلاقات الرجل مع المرأة، وعلاقات الفرد مع المجتمع، وعلاقات الانسان مع الله. ومدة تشاؤمه إلى مثاليته: لقد كان مثالياً طموحاً يرنو ببصره إلى أعلى القيم، ولكنه لم يجد في الواقع غير أوضعها، فتشاءم من الانسان ومصيره وإمكان إصلاحه وإصلاح العالم. لكنه لم يكن من الرومنتيك الحالمين ذوي النفوس الرخوة، الذين قلبوا تشاؤمهم إلى عاطفية رخيصة تعطف على الفقراء والمحرومين والمستضعفين في الأرض، لأنه رأى أن ما يحتاجه الإنسان ليس الرثاء والعطف، بل العدالة، والغضب للظلم. ولم يكن روسوى النزعة يؤمن بأن الإنسان طيب بالفطرة. بل كان يرى في الإنسان كائناً حافلاً منذ البداية بالفساد الأصيل والشهوات الخسيسة.

وكان ابسن من المؤمنين بالمراتب والفروق بين الناس: فاللامساواة هي قانون الكون، ولا

سبيل إلى انكار التفاوت بين الناس، كما أنه لا سبيل إلى انكار التفاوت بين أنواع الحيوان. والانسان أسير تركيب جسماني ومعنوي لا سبيل إلى التخلص منه. ولهذا نجد قدرية صارمة في اشخاص رواياته.

وابسن مشغول كل الانشغال بالأفكار الأخلاقية، ولهذه نراها تؤلف اللحمة والسدى في مسرحياته، ولعل خلاصتها تتمثل في هذه الجملة: ((الكل أو لا شيء)).

* * *

ولد هنريك ابسن في العشرين من شهر مارس 1828 في قرية استين بالنرويج وكان أبوه تاجرا ميسور الحال لكن ما لبث أن أصابه افلاس في سنة 1836. وهنريك في الثامنة فساءت حاله سوءاً بالغاً، واضطر بعد أن أتم دراسته الابتدائية إلى العمل صبياً في صيدلية بمدينة جرمستاد Grimstad ابتغاء كسب قوته وليستعد للدراسات الطبية، وكانت سنه آنذاك الخامسة عشرة، ولكنه سرعان ما برم بهذه المهنة، مهنة صبي لصيدلي. فترك هذه المهنة في سنة 1850 ورحل إلى مدينة كرستيانيا للبدء في دراسة الطب، والتحق فعلاً بكلية الطب وتقدم في دراسته بسرعة حتى استطاع أن يجتاز أول امتحان بنجاح بعد خمسة أشهر. لكنه برم بعد ذلك بالطب، وترك دراسته ليتفرغ بكليته للأدب. وكان وهو صبي صيدلي قد بدأت نوازع الأدب تجذبه، فكان يكتب الشعر منذ سنة 1847، وكان يقرأ كثيراً قراءات متنوعة، خصوصاً في الشاعر واللاهوت. وفي سنة 1850 نشرت له مسرحية ((كاتلينا)) وهي طراغودية شعرية استخدم فيها الشعر الحر. غير أن موارده المالية الضئيلة اضطرته في يناير من السنة التالية – سنة 1851 – إلى الاشتراك في تحرير مجلة أسبوعية سياسية نقدية، اختفت بعد تسعة أشهر. ثم أنقذه من هذه الضائقة عازف على الكمان مشهور هو أوليه بول Ola Bull الذي عرف موهبة هذا الشاب فدعاه إلى مسرح برجن Bergen الذي أنشئ حديثاً. وهنا في مسرح برجن عمل ابسن طوال ست سنوات مديراً وشاعراً ومستشاراً ومخرجاً، وكان عليه بحكم صفته هذه أن يؤلف كل عام مسرحية للعرض في الذكرى السنوية لإنشاء المسرح. وهذه المسرحيات التي وضعها لهذه المناسبات قد أنكرها هو فيما بعد بوصفها لا تليق بمكانته.

وفي سنة 1857 انتقل ابسن إلى كرستيانيا مديراً للمسرح البلدي فيها. وهنا نشر أولاً مسرحية ((حملة الشمال)) سنة 1858 وألف مسرحية ((المطالبون بالعرش)) التي لم تنشر الا في سنة 18، ثم قموديه ساخرة بعنوان ((قومودية (كوبيديا) الحب)) سنة 1862، كان لها تأثير بالغ وأحدثت ضجة هائلة في كل المجتمع الاسكندناوى بما انطوت عليه من نقد قاس للأوضاع الاجتماعية في هذا المجتمع، وتعد أول ضربة له في حملاته المستمرة فيما بعد على نفاق المجتمع توكيداً لحقوق الفرد، وأول معركة يخوضها ضد حماقة المجموع وطغيانه على الفرد. ولكن المسرح الجديد

أصابه الافلاس في سنة 1862.

وعلى الرغم مما في هذه المسرحيات من تفوق فني فإن أولياء الأمور لم يقدروا الرجل حق قدره، حتى أصابته الأزمات المالية وأفكر أصدقاؤه في البحث له عن وظيفة في الجمرك! وعبثاً حاول أن يظفر من الحكومة بمعاش سنوي مثل بيورنسن فلم يظفر إلا بمساعدة مالية موقتة للسفر إلى الخارج! فلما استيأس قرر الرحيل عن وطنه، فرحل إلى روما في ربيع سنة 1864، وهنا في روما كتب عدة مسرحيات: ((براند)) سنة 1866 و ((بيرجنت)) سنة 1867 وملهاة هي ((عصبة الشباب)) سنة 1869 ومسرحية تاريخية تعد من أعظم مسرحياته وعنوانها ((القيصر والجليلي)) سنة 1873.

وبقي ابسن في ايطاليا حتى سنة 1868، ورحل منها إلى ألمانيا: فسافر إلى درسدن سنة 1868 وإلى منشن (ميونخ) سنة 1875ثم عاد إلى روما سنة 1885 وإلى منشن سنة 1885 ايضاً

وسافر ابسن إلى مصر سنة 1869 بوصفه مدعواً للاشتراك في الاحتفال بإنشاء قناة السويس.

واستمر ابسن على هذه الحال من التجوال في ايطاليا وألمانيا منذ سنة 1875، ممضياً الشتاء في منشن (ميونخ) ومتنقلاً في ربوع أوربا إبان الصيف، إلى أن استقر به المقام في وطنه سنة 1892فعاش في مدينة كرستيانيا حتى توفي في الثامن والعشرين من شهر مايو سنة 1906 بعد أن أمضى أربع سنوات حافلة بالآلام الجسمانية والانهيار العقلي، حتى غاب وعيه أثناءها عن الدنيا. وأنجب ابسن من زواجه في سنة 1858 ولداً واحداً هو سيجورد.

* * *

وانتاج ابسن مسرحي كله، فيما عدا جملة من الشعر. ومسرحه محكم البناء من الناحيتين النظرية والعملية، ولديه فن مسرحي بالغ البساطة والدقة، وأبرز ما فيه التحليل الباطن لنفسيات شخصياته. ومنهجه التحليلي يجعل أفعال أشخاصه بالغة التركيز. وبيانه للأسباب والدوافع عميق مفصل دقيق والحوار عنده ممتاز يجمع بين الإيجاز والقوة في الإقناع وفي استدراج الحوادث والمعاني.

وعلى الرغم من كثرة مسرحياته وتعدد مناحيها وتنوعها فإنها تمثل سلسلة محكمة الحلقات، وتكون ما يسمى باسم ((مسرح المجتمع)) لأن الموضوعات الأساسية في معظم مسرحياته تتناول العلاقات الاجتماعية. ولهذا كان ابسن ينكر على النقاد تقسيمهم لإنتاجه إلى أدوار وأطوار.

ويذهب بعض النقاد إلى أن انتاج ابسن المسرحي تسوده فكرتان أساسيتان: الأولى هي الأهمية البالغة التي يوليها الفرد والشخصية، فقد كان يرى في نمو الفرد واغنائه الأمل الوحيد في إيجاد

مجتمع مستنير مثقف حقاً. والثانية هي أن المأساة الوحيدة التي يمكن تحملها، والخطأ النهائي الوحيد الذي يمكن ارتكابه هو إنكار الحب.

وكان طبيعياً وابسن يعنى بالعلاقات الاجتماعية أن يتناول أول ما يتناول العلاقة الاجتماعية من الطراز الأول التي هي الزواج: وذلك في أشهر مسرحيتين له وهما ((بيت الدمية)) و ((الأشباح))، ففيهما ينقد الكيفية التي بها يفهم الناس الرابطة الزوجية.

فالمسرحية الأولى، وبطلتها نورا، ترينا كيف تنحل رابطة الزواج فجأة، لأن الزوجة تبينت أن زوجها مخلوق من طراز آخر مختلف عنها، وأنه لم يفهمها ولم يقدرها حق قدرها، وأنه عاجز عن فهم قلبها وعواطفها. لهذا تترك زوجها، تتركه بدلاً من أن تقبل أن تعيش مع هذا ((الغريب)) عنها، على حد تعبيرها.

وفي المسرحية الأخرى ((الأشباح)) نرى الحل المضاد لهذا الحل: نرى الزوجة، ألفنج، تبقى بعد أن عزمت على الرحيل، لأن ماندرس، القديس – وكانت تحبه حباً مكتوما – أفهمها أن واجبها ومقتضيات الأخلاق تحتم عليها البقاء خشية الفضيحة.

والحل الذي انتهت به مسرحية ((بيت الدمية)) أو ((نورا)) كما يحلو لبعض المترجمين أن يسموها بهذا الاسم، وفقا لاسم البطلة الرنان) قد أثار جدلاً حامي الوطيس منذ ظهورها: فبينما النساء لم يغتفرن لنورا تركها لأولادها، هب الرجال دفاعا عن هلمر زوجها. وكان من شأن هذا الجدل ان خضع ابسن نفسه لتوجيهات المخرجين للألمان الذين نصحوه بأن يعدل الخاتمة فيجعل نورا تبقى في بيت الدمية حباً في أولادها: وهكذا قدمت المسرحية في هامبورج وبرلين وفينا سنة 1880 بينا ظلت تقدم على صورتها الأولى في منشن ودول اسكندیناوه.

* * *

وفي مسرحيات أخرى يهاجم التقاليد الاجتماعية فيقدم لنا أشخاصاً قطعوا ما بينهم وبين هذه التقاليد، ولكنهم وراء هذا المظهر المتنافي مع الأوضاع الاجتماعية، يخفون فضائل الاستقامة والأمانة والصراحة التي تعوز أولئك الحريصين على الأوضاع والمظاهر الاجتماعية. وهذا أبرز ما يكون في مسرحية: ((أسناد المجتمع))، و ((عدو الشعب)) و((البطة البرية)). ففي الأولى يتناول الأكاذيب في الحياة العامة، وكيف يسعى كارستن برنك أن يستر إثمه ويحافظ على سمعته على حساب سمعة شخص آخر، بينا لونا هسل، التي اعتلت مسارح اللهو وجالت في البراري بلباس الرجال، فلما عادت إلى بلدها نظر إليها الناس على أنها مصدر فضيحة ومعرة وينبغي تجنبها – تقول بينما لونا هسل هذه هي التي ستحمل كارستن برنك على الاعتراف بخطاياه، وهي التي ستستخلص العبرة من الحوادث التي شهدتها، وهذه العبرة هي: ((الحرية والحقيقة، هما سندا

المجتمع)).

قال برنك مخاطباً لولا هسل: ((فتشي في خبايا النفوس التي يوقرها الناس كل التوقير، وستجدين في كل واحدة منها نقطة سوداء يخفونها.لونا هسل: وأنتم تسمون أنفسكم أسناد المجتمع!

برنك: ليس فيه خير منهم.

لونا: إذن ماذا يهمه أن يسند هذا المجتمع أو لا يسند!)).

ويبلغ نقد ابسن للمجتمع أوجه في ((براند)) التي تمثل أصفى نموذج يقدمه ابسن، وفيها يبين التناقض البائس بين ما يفعله الناس وما يعلنونه. وبراند قسيس يرى التفاوت الهائل بين تعاليم الدين وبين ممارسة الناس للدين فيتمرد على الكنيسة ويكرس كل جهوده لإيقاظ ضمير الناس. والرغبة في الخير عنده غامرة تصل مرتبة التعصب، فلا يسمح بأية مساومة أو تساهل. فحينما تكون أمه على فراش الموت تعالج سكراته، تسأله أن يقيم لها الطقوس الدينية، لأنها حيت حياة فاسدة، إذ استولت على ثروة زوجها الراحل من غير حق، وارتكبت مظالم. فطلب إليها براند أن تتخلى عن كل الثروة التي حصلت عليها دون وجه حق. لكنها تحب ثروتها أكثر من حبها لحياتها وأكثر من نجاتها، ولهذا لا تستطيع أن تتخلى إلا عن نصف هذه الثروة. فيأبى عليها براند ذلك ويقول لها: ((إما الكل أو لا شيء)). وتقبل أن تتخلى عن تسعة أعشارها، فيأبى هو ويستمر قائلا: ((إما الكل أو لا شيء)) وتموت أمه دون اعتراف ولا تناول للطقوس الدينية.

وفى مشهد آخر نرى براند وزوجته أجنس وقد مات ولدهما، وها هي ذي أجنس تستعرض ملابس الولد المتوفي وقد احتفظت بها كأنها ذخائر ثمينة، وفي هذا الحين تمر غجرية ومعها ولد لا يكاد يستره شيء، فتسأل أن تعطيها هذه الملابس ((لكن أجنس ترفض، لأن هذه الملابس هي كل ما بقي لهذه الأم البائسة (أجنس) من سعادة: لأنها تشعر بأن ابنها يبعث حين تنظر إلى هذه الملابس، فكيف تتخلى عنها؟! فيقول لها زوجها براند بلهجة حازمة: ((ينبغي ألا تتعلقي بالأوثان أعطي هذه المرأة كل شيء)) وتطيع أجنس، فيقول لها: ((هل أعطيتها عن رضا نفس؟)) فتقول: ((لا)) فيرد عليها: ((لقد ذهب احسانك سدى))

مسرحية ((آيولف الصغير))

أما المسرحية التي نقدم لها بهذه المقدمة، فتقع في ثلاثة فصول، وأشخاصها هم: ألفرد ألمرز: مزارع وكاتب، وكان قديما معلماً، ريتا: زوجته، آيولف: ابنهما، وعمره تسع سنوات، أستا ألمرز، وهي أخت غير شقيقة وصغيرة لألفرد، وبورجهيم، مهندس، وسيدة الفئران.

وفي الفصل الأول نكون في غرفة حديقة بمزرعة ألمرز، وتقع على فيورد يبعد عن المدينة بضعة أميال. وقد عاد ألفرد ألمرز ليلاً من الجبال بعد أن غاب عن أهله طوال ستة أو سبعة أسابيع

لأول مرة في تاريخ حياته الزوجية التي مضى عليها عشر سنوات. كذلك قدمت أخته الصغيرة الحبيبة آستا في الصباح من المدينة القريبة التي تعيش فيها مدرسة، قدمت لزيارة أخيها في مزرعته. وكانت الثمرة الوحيدة لزواج أخيها من ريتا هو آيولف الصغير، وهو صبي مشوه أعرج، لا يستطع المشي بغير عكازة، ولكن فيه مع ذلك نوازع الطفولة: فهو يلذ له أن يلبس الزي العسكري ويريد أن يصبح جندياً، ويحلم بالرحلات الواسعة في الجبال العالية والسباحة بين الفيوردات. وتقدم سيدة الفئران بكلبها فتحدث في نفس الطفل تأثيراً بالغاً فتجذبه إليها. ويقص ألمرز لزوجته وأخته ما حدث في نفسه من تغير بالغ في الجبال: فهو لن يكتب بعد سطراً في كتابه الكبير الذي كان بسبيل تأليفه عن ((المسئولية الإنسانية))، ويريد الآن أن يكرس وقته وجهده للعناية بآيولف الصغير المسكين. ويريد أن يستخرج كل ما تنطوي عليه نفس الصبي من إمكانيات غنية، وأن يوفق ين ما يستطيعه الطفل وما يطمح الطفل إليه. وينبغي أن يصبح الطفل تاج الأسرة. ويبدو المهندس بورجهيم ليستأذن في الرحيل، فقد انتهى شق الطريق. ويطلب من آستا أن تتريض معه لكي يوجه إليها سؤالاً حاسماً.

الزوج وزوجه معاً، وشهوة ريتا الملتهبة تشتعل. وتود أن تمتلك زوجها وأن لا يشاركها فيه أحد. ولهذا تكره الكتاب الذي يؤلفه، وتود أن تبعد آستا بأسرع ما يمكن، وتغار خصوصاً من آيولف الصغير، وتتمنى لو لم تكن قد ولدته، بل تلمح إلى رغبة آثمة.وتعود آستا والمهندس، بورجهيم: انه سيرحل بدونها. وتعزو ريتا السبب إلى العين الشريرة (الحسد)، لأنها تعتقد في الحسد بالعين، خصوصاً عين الطفل. وهنا تحدث ضوضاء آتية من ناحية الشاطئ، والكل يتدافع ناحية جسر الرسو لقد غرق طفل، وهذا الطفل هو آيولف الصغير.

وفي الفصل الثاني نكون في غابة ألمرز عند الشاطئ. وألمرز يعاني آلاماً مبرحة من هذه الكارثة، كارثة غرق ابنه آيولف الصغير: كان آيولف يتطلع عند نهاية جسر الرسو إلى سيدة الفئران بينما هي تجدف بين الفيوردات: وإذا به يتقدم إلى الأمام ويسقط في الماء. ويحاول الوالد الحزين أن يجد العزاء لدى أخته آستا، فيتبادل معها الذكرى. أما زوجته ريتا ففي اضطراب وذهاب وجيئة. ولا تستطيع أن تتبادل الحديث مع زوجها ألفرد. ولكن كلاً منهما يحاول أن يستشف الأفكار الخفية التي تجول في نفس الآخر. غير أنها تحس أن موت آيولف لم يحقق رغبتها في أن يكون لها زوجها خالصاً لها وحدها، بل تشعر بأن آيولف قد أصبح يقوم حاجزاً بينها وين زوجها أكثر من ذي قبل.

ويحس الزوج بأنه إذا كان قد ضحى بالكتاب فليس ذلك حباً في آيولف ورعايته، بل عجزاً منه عن إتمامه. وهو لم يرد أن يجعل من ابنه آيولف آية حباً فيه، بل لمجرد أن يكون قد صنع آية ومعجزة. وهكذا لم يخلص كلاهما لابنهما. فاذا كان الابن قد جاء أعرج مشوهاً، فالذنب ذنبهما.

وفي الفصل الثالث والأخير نكون في حديقة ألمرز فوق رابية. ويجدد بورجهيم طلبه يد آستا، ولكن عبثاً، فسيسلك كل منها طريقاً غير طريق الآخر. أما ريتا فصارت تفزع من الوحدة أكثر من أي شيء آخر، ولهذا تتوسل إلى آستا أن تبقى إلى جانبها وأن تحل محل آيولف لديها ولدى ألفرد. ولكن آستا لا تأنس الثقة في نفسها، فتلقي بنفسها بين ذراعي المهندس بورجهيم الذي سيجعلها سعيدة. وهكذا ترك الزوجان (ألفرد وريتا) لنفسيهما. ثم يحدث في نفس ريتا تنير هائل ((لكن مع ضياع نعيم الحياة كله)). وها هي ذي تريد أن تسكن من آلامها وأن تكفر عن خطيئتها: وذلك بأن تؤوي إليها الأولاد الفقراء وتعني بهم كأنهم ابنها آيولف، وتسعى لإصلاح حالهم وتخفيف شقائهم. فإن تيسر لها ذلك، فإنها لن تكون قد ولدت آيولف عبثاً. ويشعر ألمرز بأنه لم يفعل حتى الآن شيئا يذكر في سبيل المساكين ولهذا يقرر البقاء إلى جوار ريتا ليساعدها في هذا العمل الخيري. إن أمامهما عملاً شياقاً، لكنهما لا ييأسان، بل يتطلعان إلى الأمام، ويرنوان ((إلى القمم، إلى النجوم، إلى السكون العظيم)).

* * *

وهكذا نرى أن مسرحية ((آيولف الصغير)) دراما إنسانية من الطراز الأول، ينشأ النزاع فيها بين الحب وبين مطالب الحياة الأخرى: الحب الذي تهدده شهوة المرأة وغرور الرجل وعجزه، ولكن المشكلة لا تحلها غير كارثة، هي مصرع الولد غرقاً.

عبد الرحمن بدوي

أشخاص المسرحية

الفريد أولمرز: من الملاك، ومن رجال الأدب، مدرس سابق.

السيدة ريتا أولمرز: زوجته.

آيولف: ابنهما، في التاسعة من عمره

الانسة آستا أولمرز: أخت ألفريد غير الشقيقة والتي تصغره في السن.

المهندس بورغيم

زوجة الفأر

تقع حوادث الرواية في املاك أولمرز

المتاخمة للفيورد على بعد اثني عشر

أو أربعة عشر ميلاً من كريستيانيا

الفصل الأول

المنظر:

حجرة جميلة فاخرة الزينة تطل على حديقة، يا لحجرة كثير من الرياش والأزهار والنباتات، في الخلف باب مزدوج من الزجاج يوصل إلى شرفة ويبدو من خلاله منظر الفيورد البعيد، ومنظر لتلال بعيدة نبتت على جوانبها الغابات.

في كل جانب من الحجرة باب، الأيمن منهما ذو مصراعين وهو في النهاية البعيدة للحائط، في الجزء الأمامي من الناحية اليمنى أريكة عليها بعض المساند والأغطية من السجاد، وإلى جانبها منضدة صغيرة وعدد من الكراسي، وفي الجزء الأمامي من الناحية اليسرى منضدة أكبر من سابقتها حولها عدد من الكراسي ذات المساند. فوق المنضدة حقيبة صغيرة مفتوحة.

الوقت في الصباح المبكر من يوم صيفي ساطع الشمس حار بعض الشيء. السيدة رينا أولمرز واقفة إلى جانب المنضدة الكبرى مواجهة الناحية اليسرى وهي مشغولة بحل أربطة الحقيبة والسيدة ريتا شقراء جميلة طويلة ناضجة في الثلاثين من عمرها تقريباً تلبس ثوبا للصباح زاهي اللون.بعد قليل تدخل من الباب الأيمن الآنسة آستا أولمرز في ثوب صيفي رمادي اللون فوقه سترة وعلى رأسها قبعة وفي يدها مظلة صغيرة وتحت ذراعها حقيبة يد كبيرة الحجم ذات قفل، والآنسة آستا هيفاء متوسطة الطول سوداء الشعر ذات عينين عميقتين جادتين، وهي في الخامسة والعشرين من عمرها.

آستا: (عند دخولها) عزيزتي ريتا، صباح الخير.

ريتا: (تلتفت إليها وهز رأسها محيية) ماذا؟! أهو أنت يا آستا؟ كيف قطعت كل هذا الطريق من المدينة إلى هنا ووصلت في هذا الوقت المبكر؟

آستا: (تخلع قبعتها وسترتها وتضعها على كرسي قرب الباب) شعور مقلق انتابني ودفعني إلى الحضور اليوم لأرى كيف حال آيولف الصغير – وحالك أيضاً (تضع الحقيبة على المنضدة المجاورة للأريكة) فركبت الباخرة، وها أندا.

ريتا: (تبتسم لها) ولعلك قابلت على ظهر الباخرة أحد أصدقائك، مصادفة بالطبع.

آستا: (بهدوأ) كلا، لم أقابل أيا ممن أعرفهم (ترى الحقيبة) عجباً يا ريتا، ما هذا الذي أمامك؟

ريتا: (ما زالت مشغولة بحل الأربطة) حقيبة سفر ألفريد، ألا تعرفينها؟

آستا: (تقترب منها في سرور) ماذا! هل عاد ألفريد؟

ريتا: نعم، تصوري – عاد أمس بقطار المساء الأخير على غير موعد.

آستا: أوه، الآن عرفت سبب الشعور المقلق الذي انتابني! والذي دفعني إلى الحضور اليوم!

أو لم يكتب إليك ولو سطر ليعلمك بموعد حضوره؟ أو حتى بطاقة بريد؟

ريتا: ولا كلمة واحدة.

آستا: ولم يرسل إليك برقية؟

ريتا: بلى، قبل وصوله بساعة واحدة – برقية موجزة باردة (تضحك) ألا ترين يا آستا أن هذا العمل يتفق وشخصيته؟

آستا: نعم، إنه يعمل كل شيء في هدوء؟

ريتا: ولكن ذلك ضاعف سروري بعودته.

آستا: نعم أنا واثقة من ذلك

ريتا: قبل موعده المنتظر بخمسة عشر يوماً كاملة!

آستا: وهو، أليست حالته على ما يرام؟ ألم يتوله اليأس؟

ريتا: (تغلق الحقيبة محدثة صوتاً ثم تبتسم لآستا) كان التغير واضحاً عليه عندما وقف بالباب.

آستا: أكان يبدو عليه التعب أيضاً؟

ريتا: أوه، نعم، كان يبدو عليه التعب الشديد، كان في الحقيقة متعباً جداً، ومع ذلك فقد قطع المسكين أغلب الطريق مشياً على قدميه.

آستا: ربما كان هواء الجبل العالي كثير الرطوبة.

ريتا: أوه، كلا، لست أظن ذلك، فإني لم ــسمعه يسعل مرة واحدة.

آستا: آه، أرأيت الآن، لقد كان القيام بهذه الرحلة كما أشار الطبيب ذا أثر طيب عليه رغم كل شيء.

ريتا: نعم وقد انتهى الأمر الآن على أحسن حال ولكني أستطيع أن أصارحك يا آستا أن هذه

الفترة كانت ذات تأثير فظيع علي، وإن كنت لم أهتم قط بالتحدث عن ذلك – وكانحضورك لرؤيتي نادراً – وأيضاً –

آستا: نعم، لعلي كنت مخطئة في ذلك – ولكن –

ريتا: صه، صه، صه، إنك بالطبع مضطرة إلى الاهتمام بمدرستك في المدينة (تبتسم) ثم صديقنا مهندس الطرق – لابد أنه كان هو الآخر مسافراً.

آستا: أوه، لا تحدثيني هكذا يا ريتا.

ريتا: حسن جداً، لنترك إذن الحديث عن مهندس الطرق آه، لو تعلمين كم كان مبلغ شوقي إلى ألفريد! وكم كان يبدو المكان في غيابه فارغاً! مقفراً! أوه، كنت أحسن وكأن المنزل قد خيم عليه الحزن لفقد العزيز!

آستا: عجباً، إنها ليست إلا ستة أو سبع أسابيع.

ريتا: نعم، ولكن ألفريد لم يبتعد عني من قبل قط لم يفارقني أكثر من يوم كامل طوال هذه السنوات العشر.

آستا: نعم، وهذا بالذات ما دعاني إلى التفكير جدياً في أن الوقت قد حان ليبتعد عن المنزل بعض الوقت، وأن يقوم برحلة إلى الجبل كل صيف في الحقيقة هذا ما يجب.

ريتا: (في شبه ابتسام) أوه، نعم، تستطيعين ولا أشك أن تتحدثي هكذا، وأظنني لو كنت في مثل – في مثل تعقلك لربما تركته يرحلمرة في كل عام، ولكني في الحق لا أستطيع يا آستا! إذ يخيل إلى أنني لن أسترجعه ثانية،إنك ولا شك تفهمين شعوري

آستا: كلا، ولعل ذلك لأنه ليس لي من أخشى ضياعه مني

ريتا: (تبتسم في مكايدة) حقاً؟ لا أحد مطلقاً؟

آستا: ليس من أعرفه أنا (تغير موضوع الحديث) ولكن خبريني يا ريتا، أين ألفريد؟ ألا يزال نائماً؟

ريتا: أوه على العكس، انه استيقظ اليوم مبكر على غير العادة.

آستا: لا يمكن إذن أن يكون – مع ذلك – متعبا شديد التعب.

ريتا: كان كذلك في الليلة الماضية – عندما وصل، ولكنه الآن منذ ساعة أو أكثر في حجرته مع آيولف الصغير.

آستا: يا للغلام الأشقر المسكين! أسيعود ثانية إلى دروسه ويظل منكباً عليها إلى الأبد؟

ريتا: (تهز كتفيها بخفة) تعلمين أن هذا ما سيفعله ألفريد.

آستا: نعم، ولكني أظن أن تدخلك واجب يا ريتا.

ريتا: (تفقد صبرها قليلاً) أوه كلا، دعينا من ذلك فليس في استطاعتي التدخل، فمعرفة ألفريد بهذه الأمور تفوق معرفتي، ثم ماذا تريدين أن يفعل آيولف؟ تعرفين أنه لا يستطيع الجري والمرح – كغيره من الأطفال.

آستا: (في عزم) سأحادث ألفريد في ذلك.

ريتا: نعم، حادثيه فهذا ما أريده – أوه. ها هو ذا.

(من الباب الأيسر يدخل ألفريد أولمرز في ثياب صيفية خفيفة وقد أمسك بيد آيولف وألفريد رجل نحيف ضعيف الجسم في السادسة أو السابعة والثلاثين لطيف العينين خفيف الشعر واللحية، يبدو على وجهه الجد والتفكير الطويل أما آيولف فيرتدي حلة حربية ذات ضفائر ذهبية وأزرار عسكرية مموهة بالذهب وهو أعرج يمشي متكئاً على عكاز تحت ابطه الأيسر بسبب قصر ساقه اليسرى عن اليمنى، وهو ضئيل الجسم رقيق ولكن عينيه جميلتان تشعان بالذكاء).

أولمرز: (يترك يد آيولف ويذهب إلى آستا في مرح ظاهر وقد مد لها كلتا يديه) آستا! عزيزتي آستا! ما أعجب حضورك وأن أراك سريعاً!

آستا: أحسست بدافع إلى المجيء – مرحباً بعودتك.

أولمرز: (يهز يديه مصافحاً) شكراً لمجيئك.

ريتا: ألا يبدو في حالة طيبة؟

آستا: (تتفرس فيه) رائع! رائع جداً! عيناه أكثر بريقاً! أظنك كتبت كثيراً أثناء رحلتك (في سرور زائد) لن أعجب كثيراً إن كنت قد انتهيت من تأليف الكتاب يا ألفريد.

أولمرز: (يهز كتفه) الكتاب؟ أوه، الكتاب –

آستا: نعم، كنت واثقة من أنك ستتمه بسهولة، إذا ما سافرت بعيداً.

أولمرز: أنا أيضاً كنت أظن ذلك، ولكن ما قولك في أنني وجدت الأمر على العكس تماماً، لم أخط فيه سطراً واحداً.

آستا: لم تخط سطراً واحداً؟

ريتا: أوهو! لكم عجبت إذ رأيت الأوراق في حقيبتك لم تمس.

آستا: ولكن ماذا كنت تفعل طوال هذا الوقت يا عزيزي ألفريد؟

أولمرز: لا شيء غير التفكير. التفكير طوال الوقت.

ريتا: (تحيط رقبته بذراعها) أو لم تفكر قليلاً في أولئك الذين خلفتهم وراءك؟

أولمرز: نعم، ثقي من ذلك، فلطالما فكرت فيك – كل يوم.

ريتا: (تبعد ذراعها) آه، هذا كل ما يعنيني.

آستا: ولكنك لم تعمل في الكتاب! ومع ذلك تبدو سعيداً مرتاحاً! وليست هذه طبيعتك – أعني عندما تسير أعمالك على وجه لا يرضيك.

أولمرز: إنك محقة في ذلك، ولكن ألا ترين أنني كنت مجنوناً حتى الآن؟ إن أفضل ما في الانسان يضيع في التفكير ولا يقيد منه على الورق غير ما لا يستحق إلا القليل.

آستا: (في عجب) ما لا يستحق إلا القليل.

ريتا: (ضاحكة) ما أسخف ما تقول يا ألفريد.

آيولف: (ينظر إلى أبيه في ثقة كبيرة) أوه، لا يا أبي، إن ما تكتبه يستحق الكثير!

أولمرز: (يبتسم وهو يمسح على شعره) حسن، حسن ما دمت تقول ذلك – ولكني أقول لك أن شخصاً آخر سيأتي بعدي وسيقوم بذلك خيراً مني.

آيولف: ومن ذا يكون؟ أوه، خبرني!

أولمرز: انتظر – وثق أنه سيأتي، فدعنا نسمع ذلك منه.

آيولف: وما الذي ستفعله إذ ذاك؟

أولمرز: (في جد) إذ ذاك سأعود إلى الجبل.

ريتا: بئس ما تقول يا ألفريد! عار عليك!

أولمرز: – إلى أعلى قمة وأكثر أماكنه خراباً.

آيولف: ألا تظن يا أبي إن حالتي وقتئذ ستكون قد تحسنت فأستطيع أن أذهب معك؟

أولمرز: (في انفعال مؤلم) أوه، نعم، ربما يا طفلي الصغير.

آيولف: ما أروع أن أستطيع تسلق الجبال مثلك.

آستا: (تغير موضوع الحديث) ما أجمل ثوبك هذا يا آيولف!

آيولف: نعم، ألا ترين ذلك يا عمتي؟

آستا: نعم بالطبع، ألبست هذا الثوب الجديد ابتهاجاً بعودة أبيك؟

آيولف: نعم، طلبت من أمي أن تدعني ألبسه ليراني أبي به.

أولمرز: (يهمس لريتا) ما كان يجمل بك أن تغطيه ملابس كهذه.

ريتا: (هامسة) أوه، لقد ضايقني كثيراً بإلحاحه كان يريد لبسها من كل قلبه فلم يدعني في سلام قط.

آيولف: نسيت أن أخبرك يا أبي – لقد أهداني بورغيم قوساً وعلمني كيف أستعمله.

أولمرز: آه أرأيت – هذا بالضبط ما يلائمك يا آيولف.

آيولف: وعندما يعود لزيارتنا سأطلب منه أن يعلمني السباحة.

أولمرز: السباحة! أوه، ولماذا ترغب في تعلم السباحة؟

آيولف: حسن، لأنني الوحيد الذي يجهل السباحة، فأنت تعلم أن كل الأولاد عند الشاطئ يعرفونها.

أولمرز: (يحتضنه في ألم) ستتعلم كل ما تريد – كل ما أنت في حاجة حقيقية إليه.

آيولف: أتعرف إذن ما أريد من كل قلبي يا أبي؟

أولمرز: كلا، أخبرني.

آيولف: أريد أكثر من كل شيء أن أكون جندياً.

أولمرز: أوه، يا صغيري آيولف، هنالك أشياء كثيرة كثيرة جداً أفضل من ذلك.

آيولف: آه، ولكن سأكون جندياً عندما أكبر، وأنت تعرف، أليس كذلك؟

أولمرز: (يضغط كفيه إحداهما بالأخر) حسن، حسن حسن، سنرى.

آستا: (تجلس بجوار المنضدة اليسرى) آيولف، اقترب مني لأخبرك بأمر.

آيولف: (يذهب إليها) ماذا عمتي؟

آستا: تصور يا آيولف – لقد رأيت زوجة الفأر.

آيولف: ماذا! رأيت زوجة الفأر! إنك تسخرين مني ولا شيء غير ذلك.

آستا: كلا لقد صدقتك القول، فقد رأيتها أمس.

آيولف: وأين رأيتها؟

آستا: رأيتها في الطريق خارج المدينة.

أولمرز: ورأيتها أنا أيضاً في مكان ما من الريف.

ريتا: (الجالسة على الأريكة) ربما جاء دورنا لنراها بعدهما يا آيولف.

آيولف: أليس عجيباً يا عمتي أن يسمونها زوجة الفأر؟

آستا: أوه، إنه أسم أطلقه عليها الناس لأنها تطوف بالإقليم لتغرق الفيران كلها.

أولمرز: علمت أن أسمها الحقيقي فارج.

آيولف: فارج! هذه الكلمة معناها ذئب، أليس كذلك؟

أولمرز: (يمسح على رأسه) أنت إذن تعرف معناها، أليس كذلك؟

آيولف: (بحذر) ربما إذن صح ما يقال عن تحولها في الليل إلى ذئب، أتصدق ذلك يا أبي؟

أولمرز: أوه، كلا، لا أصدقه، والآن، هيا اذهب والعب بعض الوقت في الحديقة؟

آيولف: ألا آخذ معي بعض الكتب؟

أولمرز: كلا، لا كتب بعد الآن، ويحسن بك أن تذهب إلى الشاطئ لتلعب مع الأولاد الآخرين.

آيولف: (يخجل) كلا يا أبي، لن أذهب إليهم اليوم.

أولمرز: ولم لا؟

آيولف: أوه، لأني أرتدي هذه الملابس.

أولمرز: (يقطب جبينه) أتعني أنهم يسخرون من- من ملابسك الجميلة؟

آيولف: (في موارية) لا انهم لا يجسرون- خوفاً من أن أضربهم.

أولمرز: آها! - لماذا إذن -؟

آيولف: سأخبرك، هؤلاء الأولاد، إنهم شياطين، وهم يقولون لي أنني لن أكون جندياً أبداً.

أولمرز: (في غضب مكتوم) ولماذا يقولون ذلك؟ أتعرف لماذا؟

آيولف: أظنهم يغارون مني لأنهم، كما تعلم يا أبي، فقراء جداً، وهم مضظرون للسير حفاة.

أولمرز: (بنعومة وقد اختنق صوته) أو يا ريتا - كم تعصر هذه الأمور قلبي ألما!

ريتا: (تهدئه أثناء نهوضها من مكانها) كفى، كفى، كفى!

أولمرز: (متوعداً) ولكن سيعرف هؤلاء المجرمين حالاً من هو السيد في هذا الشاطئ!

آستا: (مستمعة) هنالك من يطرق الباب.

آيولف: أوه، لا شك أنه بورغيم.

ريتا: أدخل.

(في هدوء وصمت تدخل زوجة الفأر من الباب الأيمن، وهي عجوز نحيفة ضئيلة الجسم رمادية الشعر حادة العينين، تلبس ثوباً قديم الطراز تحليه الزهور ومعطفاً وقبعة اسودين، وتحمل في يدها مظلة كبيرة حمراء، وتعلق في ذراعها حقيبة سوداء).

آيولف: (بنعومة، وقد تعلق بثوب آستا) عمتي، إنها هي ولا شك!

زوجة الفأر: (تنحني عند الباب) أرجو المعذرة في خضوع ولكن هل يضايق سيادتكم في هذا المنزل أي نوع من الحيوانات القارضة؟

أولمرز: هنا؟ كلا، لا أظن ذلك.

زوجة الفأر: فإنه يسرني كثيراً أن أخلص منزل سيادتكم منها.

ريتا: نعم، نعم، هذا ما فهمناه، ولكن ليس لدينا شيء من ذلك.

زوجة الفأر: يا لسوء الحظ، هذا سوء حظ ولا شك، فقد حدث أن مررت بهذا المكان أثناء تجوالي، ولا يعلم إلا الله متى أعود– أوه، كم أنا متعبة!

أولمرز: (يشير إلى كرسي) نعم يبدو عليك التعب.

زوجة الفأر: أنا أعلم أن الواجب ألا ينال الإنسان التعب وهو يقدم خدماته لهذه المخلوقات الصغيرة المسكينة التي يكرهها الجميع ويضطهدونها في غير رحمة ولكن ذلك يهد مني القوى، يهد مني القوى

ريتا: ألا تجلسين للراحة قليلاً؟

زوجة الفأر: شكراً لسيادتكم من كل قلبي (تجلس علي كرسي بين الباب والأريكة) فقد قمت بعملي طوال الليل دون راحة.

أولمرز: أفعلت ذلك حقاً؟

زوجة الفأر: نعم هنالك في الجزيرة (تضحك مازحة) أؤكد لك ان الناس هم الذين يستدعونني على غير رغبة منهم، ولكنهك لن يستطيعوا غير ذلك فهو السبيل الوحيد، إنهم يتجلدون ويأكلون التفاحة الحامضة (تنظر إلى آيولف وتهز رأسها) التفاحة الحامضة أيها السيد الصغير، التفاحة الحامضة.

آيولف: (يتكلم مرغماً في جبن قليل) ولم يجبرون على. ...؟

زوجة الفأر: على ماذا؟. ...

آيولف: على أكلها؟

زوجة الفأر: لماذا، لأنهم لا يستطيعون المحافظة على حياتهم بسبب الفيران وصغارهم، أفهمت أيها السيد الصغير؟

ايلوف: أوه، يا للناس المساكين! أعندهم الكثير منها؟

زوجة الفأر: نعم، وتعيش بينهم وتزحمهم (تضحك في سرور هادئ) إنها طوال الليل تزحف وتقفز فوق الفرش، وتغطس في أواني اللبن، وتعدو مصوصوة على الأرض في كل اتجاه، إلى الأمام وإلى الخلف وتتسلق الحوائط صاعدة هابطة.

آيولف: (يخاطب آستا في رقة) أبداً لن أذهب إلى هنالك يا عمتي.

زوجة الفأر: ولكنني جئت وقتئذ – أنا ورفيق لي معي، وأخذناها معنا، جميعنا – هذه المخلوقات الصغيرة اللطيفة! ووضعنا حداً لحياة كل منها.

آيولف: (في صراخ) أبي – انظر! انظر!

ريتا: يا للعجب يا آيولف!

أولمرز: ماذا حدث؟

آيولف: (مشيراً) في الحقيبة يتلوى!

ريتا: (تصرخ في أقصى اليسار) أوه! اطردها يا ألفريد.

زوجة الفأر: (تضحك) أوه يا سيدتي العزيزة، لا داعي للخوف من قزم صغير.

أولمرز: ولكن ما هو؟

زوجة الفأر: ليس إلا موبسمان صغير (تفك رباط الحقيبة) أخرج من الظلام يا صديقي العزيز الوحيد الصغير (تبدو من الحقيبة رأس كلب صغير أسود الأنف، فتنحى رأسها وهي تشير لآيولف) تعال ولا تخف أيها المحارب المخذول! إنه لن يعضك، تعال هنا! تعال!

آيولف: (يتعلق بآستا) كلا، أني لا أجسر.

زوجة الفأر: ألا ترى أيها السيد الصغير أن وجهه لطيف محبوب؟

آيولف: (يشير في دهشة) ذلك الشيء الذي معك؟

زوجة الفأر: نعم، هذا الشيء الذي معي.

آيولف: (في خوف وه يحملق في الكلب) أظن أن له أقبح – وجه رأيته في حياتي.

زوجة الفأر: (تغلق الحقيبة) أوه، سيأتي – سيأتي حالاً.

آيولف: (يقترب منها في خوف وكأنه مجبر على ذلك ويربت على الحقيبة) ولكنه محبوب– محبوب على الرغم من كل شيء.

زوجة الفأر: (في صوت المحاذر) ولكن المسكين جد متعب الآن، إنه منهمك القوى، إنه كذلك (تنظر إلى أولمرز) ولتعلم يا سيدي أن هذا النوع من العمل يسلبك قوتك تماماً.

أولمرز: أي نوع من العمل تعنين؟

زوجة الفأر: الإغراء.

أولمرز: أتعنين أن الكلب هو الذي يغري الفيران؟

زوجة الفأر: (تحني رأسها) موبسمان وأنا – نحن الاثنان نفعل ذلك سوياً، ثم يسير كل شيء في هدوء.. وسأخبرك بكل شيء. كل ما أفعله أن أربط سلسلة في رقبته وأطوف به حول المنزل ثلاثاً وأنا أنفخ في مزماري المصنوع من الغاب، وعندما تسمع هذه المخلوقات الصغيرة اللطيفة صوت مزماري تضطر إلى الخروج من أوكارها وحجورها والنزول من حجرات الأسطح.

آيولف: وهل يعضها بعدد ذلك حتى الموت؟

زوجة الفأر: أوه، كلا، مطلقاً، إننا ننزل في القارب هو وأنا – وعندئذ تتبعنا كلها، سواء الكبير منها والصغير.

آيولف: (في لهفة) وماذا يحدث بعد ذلك – خبريني!

زوجة الفأر: عندئذ نبتعد عن الشاطئ وأنا أجدف بمجداف واحد وأنفخ في مزماري، وموبسمان يسبح ورائي (بعينين لامعتين) وعندئذ تتبعنا كل هذه الزواحف، تتبعنا إلى المواضع العميقة من الماء ثم إلى المواضع الأكثر عمقاً، نعم، فإنها تضطر إلى ذلك اضطراراً.

آيولف: وما الذي يضطرها؟

زوجة الفأر: لا شيء إلا أنها لا تريد ذلك – لأنها تخاف الماء كما تخاف الموت، وهذا ما يدفعها إلى أن تغطس في الماء

آيولف: وهل تغرق بعد ذلك؟

زوجة الفأر: نعم، كل هذه المخلوقات اللطيفة (في صوت أكثر نعومة) وهنالك يكون كل شيء ساكناً هادئاً مظلماً كما تمنت قلوب هذه المخلوقات الصغيرة المحبوبة، وفي الأعماق تنام نوماً أبدياً لذيذاً بعيدة عمن يكرهها أو يضطهدها(تنهض) وإني لأخبرك أني ما كنت في حاجة في الزمن القديم إلى كلب يساعدني، فقد كنت إذ ذاك أقوم بالإغراء أنا وحدي

آيولف: وماذا كنت تغرين إذن؟

زوجة الفأر: الرجال، وبخاصة واحد من بينهم.

آيولف: (في شوق) أوه، ومن ذلك الشخص؟ خبريني!

زوجة الفأر: (ضاحكة) كان حبيبي، كان كذلك، ذلك الصغير الذي صدع قلبي وحطمه!

آيولف: وأين هو الآن إذن؟

زوجة الفأر: (بصوت خشن) في الأعماق حيث مثوى جميع الفيران (تعود إلى صوتها الطبيعي) ولكن علي أن أذهب الآن لأواصل عملي، فإني دائمة العمل والحركة (لريتا) إذن فسيادتك لا تحتاجين إلى اليوم في أية خدمة. ففي استطاعتي أن أنهي أي شيء قبل رحيلي.

ريتا: كلا وشكراً، أحسب أننا في غير حاجة إلى معونتك.

زوجة الفأر: حسن حسن يا سيدتي الجميلة، إنك لن تستطيعي الجزم هكذا، فإذا وجدت سيادتك واحداً من هذه المخلوقات يقضم الأشياء ويقرضها ويزحف في المنزل ويقفز، فابحثي عنا أنا وموبسمان.. إلى اللقاء، إلى اللقاء جميعاً وأنتم في أطيب حال. (تخرج من الباب الأيمن).

آيولف: (يخاطب آستا بنعومة في لهجة المنتصر) تصوري يا عمتي أنني أنا أيضتً رأيت زوجة الفأر! (تخرج ريتا إلى الشرفة وهي تروح بمنديلها – وبعد قليل يتسلل آيولف في حذر من الباب الأيمن دون أن يلحظه أحد).

أولمرز: (يأخذ الحقيبة الموضوعة على المنضدة القريبة من الأريكة) أهذه حقيبتك يا آستا؟

آستا: نعم، فيها عدد من الخطابات القديمة.

أولمرز: آه الخطابات العائلية.

آستا: أنسيت أنك طلبت مني أن أرتبها لك ريثما تعود من رحلتك؟

أولمرز: (يمسح على رأسها) وهل وجدت يا عزيزي متسعاً من الوقت تفعلين فيه ذلك؟

آستا: أوه، نعم لقد رتبت بعضها هنا والبعض الآخر بمنزلي في المدينة.

أولمرز: شكراً يا عزيزتي، وهل وجدت فيها شيئاً هاماً

آستا: (بدون اكتراث) أوه، دائماً ما يجد الانسان شيئاً في مثل هذه الأوراق القديمة كما تعلم (تتكلم في صوت خفيض جاد) في هذه الحقيبة خطابات أمي.

أولمرز: عليك بالطبع أن تحتفظي بها لنفسك.

آستا: (مجاهدة نفسها) كلا، لقد صممت على أن تقرأها أنت أيضاً يا ألفريد، يوماً ما – بعد أن تتقدم بنا السن، فمفتاح الحقيبة ليس معي الآن.

أولمرز: لا تهتمي بذلك يا عزيزتي آستا، فأنا على أي حال لن أقرأ خطابات أمك أبداً.

آستا: (تنظر إليه بعيون ثابتة) يوماً ما إذن- في إحدى الليالي الهادئة- سأخبرك ببعض ما فيها.

أولمرز: نعم، هذا أفضل كثيراً، ولكن احتفظي بحطابات أمك – فليس لديك منها تذكارات كثيرة. (يسلمها الحقيبة فتأخذها منه وتضعها على الكرسي تحت حاجياتها- تعود ريتا إلى الحجرة).

ريتا: أوه يخيل إلي أن هذه العجوز المخيفة قد جلبت إلينا رائحة المقابر.

أولمرز: نعم كانت مخيفة جداً

ريتا: كنت أثناء وجودها في الحجرة أشعر وكأنني مريضة.

أولمرز: كيفما كان الأمر فإني أستطيع أن أفهم تمام الفهم ذلك الافتتان المذهل الذي كانت تتحدث عنه، فإن لقمم الجبال المهجورة والصحاري الواسعة الخربة نفس ذلك التأثير السحري.

آستا: (تنظر إليه باهتمام) ماذا حدث لك يا ألفريد؟

أولمرز: (مبتسماً) أنا؟

آستا: نعم، لقد حدث شيء – شيء يبدو أنه غيرك، وقد لاحظت ريتا ذلك أيضاً.

ريتا: نعم، لاحظت ذلك منذ اللحظة التي وصلت فيها، وأرجو أن يكون تغيراً نحو الأفضل يا ألفريد.

أولمرز: يجب أن يكون نحو الأفضل، ويجب أن تكون النتيجة طيبة بل وستكون كذلك.

ريتا: (في ثورة) كانت لك في رحلتك هذه مغامرة ما! لا تنكر ذلك! فإني أستطيع تبينه في وجهك!

أولمرز: (يهز رأسه) ليس في هذا العالم مغامرة – ظاهرة على الأقل، ولكن-

ريتا: (في شوق) ولكن –

أولمرز: في الحقيقة كان في نفسي شيء من الثورة

ريتا: أوه، يا للسماء!

أولمرز: (يربت على يديها مهدئاً) انها فقط من أجل شيء أفضل يا عزيزتي ريتا، ثقي في ذلك كل الثقة.

ريتا: (تجلس على الأريكة) عليك أن تخبرنا فوراً بكل شيء – كل شيء!

أولمرز: (يلتفت إلى آستا) نعم، لنجلس نحن أيضاً يا آستا، وسأحاول أن أخبركما بكل شيء قدر ما أستطيع.

(يجلس على الأريكة إلى جانب ريتا، بينما تنقل آستا كرسيا وتجلس قريبة منه).

ريتا: (تنظر إليه في انتظار ما يقول) حسن-؟

أولمرز: يحملق – وعلى حظي – في العشر سنوات أو الإحدى عشر سنة الأخيرة، يخيل إلى أنها تكاد تشبه قصة خيالية أو حلماً، ألا ترين أنت أيضاً ذلك يا آستا؟

آستا: نعم، يخيل إلى ذلك في عدة نواح من حياتك.

أولمرز: (متمما) عندما أتذكر يا آستا حالتنا التي كنا عليها – نحن الطفلين اليتيمين الفقيرين –

ريتا: (وقد نفذ صبرها) أوه، هذه قصة قديمة، قديمة.

أولمرز: (غير منصت إليها) وها أنذا الآن أعيش في راحة ورفاهية وقد استطعت أن أستمر في مهنتي. وأن أعمل وأدرس- كما كنت أشتاق دائماً (يرفع يديه) وكل هذا الحظ العظيم – الحظ الخيالي الطيب، انما ندين به لك أنت يا عزيزتي ريتا.

ريتا: (تضربه على يده بين التدلل والغضب) أوه، كم أود أن تغير هذه اللهجة.

أولمرز: ليس ذلك الحديث إلا نوعاً من المقدمات.

ريتا: لتترك إذن المقدمة!

أولمرز: ريتا – لا تظني أن مشورة الطبيب هي التي جعلتني أرحل إلى الجبال.

آستا: ألم تكن مشورته يا ألفريد؟

ريتا: وما السبب إذن؟

أولمرز: السبب أنني لم أعد أجد الراحة لنفسي هنا في مكتبي.

ريتا: لم تجد الراحة! لماذا؟ من أزعجك؟

أولمرز: (يهز رأسه) لا أحد خارج نفسي، فقد كنت أحس أنني أسئ استعمال أفضل قواي – أو على الأصح أضيعها – مبدداً الوقت سدى.

آستا: (في دهشة) أثناء تأليفك الكتاب؟

أولمرز: (يحني رأسه) لم أستطع اقناع نفسي أن تكون قواي كلها واقفاً على هذا العمل وحده، فلا شك أنني أستطيع أن أودي عملاً أو عملين إلى جانت ذلك.

ريتا: أهذا ما أهداك إليه تفكيرك الطويل هنالك؟

أولمرز: نعم بالضبط.

ريتا: هذا إذن ما جعلك في المدة الأخيرة غير راض عن نفسك، بل وغير راض عنا جميعاً، فقد كنت ضجراً يا ألفريد.

أولمرز: (يحملق في الفضاء أمامه) كنت أجلس منحنياً على مكتبي يوماً بعد يوم، وكثيراً ما ظللت كذلك إلى منتصف الليل – أكتب وأكتب في الكتاب الضخم العظيم الذي سميته ((مسئولة الانسان))، هم!

آستا: (تضع يدها على ذراعها) ولكن هذا الكتاب يا ألفريد – سيكون عملك الخالد.

ريتا: نعم. هذا ما كنت تقوله أغلب الوقت.

أولمرز: هذا ما ظننته، منذ شببت عن الطوق وأنا أظن ذلك (في عينيه تعبير عن الحب والوداد) وكنت أنت يا عزيزتي ريتا التي جعلتني قادراً على أن أقف حياتي على هذا العمل.

ريتا: أوه، كلام فارغ!

أولمرز: (يبتسم لها) – أنت، بذهابك وغاباتك الخضراء.

ريتا: (بين الغضب والضحك) سأضربك إن عدت لمثل هذا الكلام الفارغ ثانية.

آستا: (تنظر إليه في أسف وحزن) ولكن الكتاب يا ألفريد؟

أولمرز: لقد بدأت فكرته، كما تأكدت، تتحول عني، وأخذ يقلقني أكثر وأكثر تذكر الواجبات العليا الملقاة على أكتافي.

ريتا: (يشرق وجهها وتقبض على يده) ألفريد!

أولمرز: تذكري آيولف يا عزيزتي ريتا.

ريتا: (تسقط يده في قنوط) آه – آيولف!

أولمرز: منذ أن وقع آيولف الصغير المسكين لسوء حظه من فوق المنضدة، تعلق به فكري، وأخذ هنا التفكير يزداد – خاصة بعد ما تأكدت أن عاهته مستديمة لا شفاء منها أبدا.

ريتا: (في إصرار) ولكنك عنيت به قدر ما تستطيع يا ألفريد!

أولمرز: كمدرس، نعم، وليس كوالد، أما الآن فأنا أريد أن أكون أباً لآيولف.

ريتا: (تنظر إليه ثم تهز رأسها) لا أحسبني أفهمك تماماً.

أولمرز: أعني أنني سأكرس كل قواي لأجنبه على قدر المستطاع الآلام والمتاعب التي تنشأ عن سوء حظه.

ريتا: أوه، ولكنه يا عزيزي – لا يحس بألم عميق لذلك، وإني لأسكر الله لهذا.

آستا: (متأثرة) لا يا ريتا، إنه يحس به.

أولمرز: نعم، ثقي أنه يحس بأعمق الألم لذلك.

ريتا: (بضيق) ولكن، ماذا ستفعل أكثر مما فعلت يا ألفريد؟

أولمرز: سأحاول اكمال كل الإمكانيات الطيبة التي تبزغ في نفسه الطفلة، وسأتعهد كل بذور الخير التي في طبيعته – حتى تزدهر وتثمر (بحرارة متزايدة وقد نهض واقفاً) وسأفعل أكثر من ذلك! سأساعده على جعل رغباته تتفق وتتسق مع ما يمكنه الحصول عليه، وهذا عكس ما هو حادث الآن، فإن كل رغباته متجهة إلى ما لا يستطيع الحصول عليه، ولكنني سأخلق في نفسه شعوراً بالسعادة (يقطع الحجرة جيئة وذهاباً مرة أو مرتين على حين تتبعه آستا وريتا بعيونهما).

ريتا: يحسن بك أن تتناول هذه المسائل بطريقة أكثر هدوءاً يا ألفريد.

أولمرز: (يقف إلى جانب المنضدة اليسرى وينظر إليهما) سيقوم آيولف بإتمام عملي الخالد – إن أراد، أو ليختر له عملاً آخر خاصاً به، وربما كان هذا أفضل، وفي كلتا الحالتين سأترك عملي كما هو دون أي أضافة.

ريتا: (تنهض) ولكن ألا تستطيع يا عزيزي ألفريد أن تجمع بين عملك وما تريد تقديمه لآيولف؟

أولمرز: كلا، لا أستطيع، فهذا أمر مستحيل! ولن أستطيع تقسيم نفسي في هذا الأمر، ولهذا ضحيت بعملي، سيكون آيولف الرجل المثالي الكامل للشعب الإنساني كله، وسيكون عملي الخالد الجديد أن أصنع منه رجلاً كاملاً.

آستا: (تكون قد نهضت وهي الآن في طريقها إليه) لابد أن ذلك كلفك صراعاً عنيفاً يا ألفريد.

أولمرز: نعم، ولكن هنا في المنزل لم أكن أستطيع أن أقهر نفسي وأصل إلى درجة إنكار الذات، لم يكن ذلك ممكناً هنا في المنزل!

ريتا: هذا إذن سبب رحلتك هذا الصيف.

أولمرز: (بعيون لامعة) نعم! ذهبت إلى الجبل حيث الوحدة الكاملة، وحيث رأيت الشمس في شروقها تلمع فوق قمم الجبال، وحيث كان يخيل إلي أني قريب من النجوم – بل كنت أحس أن بيننا عطفاً واتصالاً متبادلين، وعندئذ وجدت القوة على ذلك.

آستا: (تنظر إليه في حزن) ولكن، أستكف نهائياً عن تأليف كتابك ((مسؤولية الإنسان))؟

أولمرز: نعم، لن أكتب شيئاً يا آستا، فقد أخبرتك أنني لا أستطيع تقسيم حياتي بين غرضين، ولكنني سأقوم بدوري في ((مسئولية الانسان)) – في حياتي الخاصة.

ريتا: (مبتسمة) أتظن أنك تستطيع أن تعيش لهذه الأغراض العالية هنا في هذا المنزل؟

أولمرز: (يمسك يدها) بمساعدتك أستطيع ذلك (يمد يده الثانية) وبمساعدتك أنت أيضاً يا آستا.

ريتا: (تبعد يدها) آه – بمساعدتنا نحن الاثنتين! فأنت إذن مع ذلك تستطيع أن تقسم نفسك.

أولمرز: ولكن يا عزيزتي ريتا...!

(تبتعد ريتا عنه وتقف عند باب الشرفة الموصلة إلى الحديقة – تسمع طرقة خفيفة سريعة على الباب الأيمن، ثم يدخل المهندس بورغيم مسرعاً، وهو شاب تجاوز الثلاثين بسنوات قليلة، مرح، دائم السرور، منتصب القامة).

بورغيم: صباح الخير يا مسز أولمرز (يبدو عليه السرور عندما يرى أولمرز) عجباً. ما هذا؟ أعدت إلى المنزل يا مستر أولمرز؟

أولمرز: (يصافحه) نعم، عدت مساء أمس.

ريتا: (بمرح) لقد انتهت أجازته يا مستر بورغيم.

أولمرز: كلا وإنك لتعرفين ذلك يا ريتا..

ريتا: (تقترب) أوه، نعم، ولكنها مع ذلك انتهت، لقد انتهى ترخيصه بالغياب.

بورغيم: أرى أنك مسرورة لنيلك ما تريدين من زوجك يا مسز أولمرز.

ريتا: إني أتمسك بحقوقي، وعلى كل، لكل شيء نهايته.

بورغيم: أوه، ليس كل شيء – كما أرجو، صباح الخير يا مس أولمرز!

آستا: (تبتعد عنه) صباح الخير.

ريتا: (تنظر إلى بورغيم) ليس كل شيء، أهذا ما قلته؟

بورغيم: أوه، إني مقتنع تمام الاقتناع أن في العالم أشياء لن تنتهي إلى نهاية.

ريتا: أظنك تقصد الحب – وما أشبه.

بورغيم: (بمرارة) إني أقصد كل ما هو محبوب!

ريتا: وهذا لا نهاية له، نعم، لنظن ذلك ولنتمنه جميعاً.

أولمرز: (يتقدم منهما) أظنكم على وشك الانتهاء من عملكم في الطريق القريب من هنا.

بورغيم: لقد انتهيت منه – انتهيت منه البارحة، ولقد استغرق وقتاً طويلاً ولكنه انتهى ولله الحمد.

ريتا: أو يشرق محياك بالسرور من أجل ذلك؟

بورغيم: نعم، بالطبع أنا مسرور!

ريتا: حسن، علي اذن أن أقول. ..

بورغيم: ماذا يا مسز أولمرز؟

ريتا: ما أظن ذلك ظريفاً منك يا مستر بورغيم.

بورغيم: حقاً ولماذا؟

ريتا: حسن، أغلب الظن أننا لن نراك كثيراً بعد ذلك في هذا الجوار.

بورغيم: نعم، هذا حق، ولكني لم أفكر فيه.

ريتا: أوه، ولكني أحسبك تستطيع زيارتنا بين وقت وآخر.

بورغيم: كلا، لسوء حظي لم يكون ذلك في مقدوري لفترة طويلة.

أولمرز: حقاً! وكيف؟

بورغيم: الحقيقة أنني حصت على عمل جديد كبير ويجب أن أبدأ فوراً.

أولمرز: حقاً؟ – (يضغط يده مهنئاً) – إني مسرور من كل قلبي إذ أسمع ذلك.

ريتا: تهانئي يا مستر بورغيم!

بورغيم: هش ش – ما كان يجب أن أتحدث عن ذلك بصراحة هكذا! ولكني لم أستطع كتمان الأمر! إنه عمل كبير في تخطيط الطرق – هنالك في الشمال – وسيكون أمامنا سلاسل من الجبال لنعبرها، وكثير من العقبات الهائلة لنذللها؟ (في سرور لا يحد) – أوه، ما أروع هذه الدنيا– وما أعظم ما تحس به من سرور وأنت فيها مهندس طرق!

ريتا: (تبتسم وتنظر إليه في مكايدة) أهو أمر يختص بهندسة الطرق ذلك الذي أتى بك اليوم في هذه الحالة الثائرة؟

بورغيم: لا ليس ذلك وحده، فإني أفكر في أبواب الآمال البراقة البسامة التي تفتحت أمام ناظري.

ريتا: آها، إذن فربما كان عندك ما هو أكثر روعة مما قلته!

بورغيم: (يلحظ آستا) من يدري! فإن السعادة عندما تزور الإنسان مرة خليقة أن تكون كفيضان النبع (يستدير إلى آستا) ألا تودين التنزه معي قليلاً كما اعتدنا يا مس أولمرز؟

آستا: (بسرعة) لا – لا، شكراً لك، ليس الآن، ليس اليوم.

بورغيم: أوه، أرجوك أن تأتي! نزهة قصيرة فقط! فلدي الكثير الذي أريد أن أحدثك عنه قبل رحيلي.

ريتا: لعله أمر آخر لا يمكنك التحدث عنه في صراحة أمام الكثيرين كما فعلت؟

بورغيم: هم، ذلك يتوقف.

ريتا: ولكنك تعلم أنه ليس ما يمنعك من أن تهمس لها (في شبه همس) حقاً يا آستا، يجب عليك أن تذهبي معه.

آستا: ولكن، يا عزيزتي ريتا..

بورغيم: (متوسلاً) مس آستا – تذكري أنها نزهة الوداع – الأخيرة لمدة طويلة.

آستا: (تأخذ قبعتها ومظلتها) حسن جداً، يمكننا إذن أن نسير قليلاً في الحديقة.

بورغيم: أوه، شكراً لك، شكراً لك!

أولمرز: وتستطيعان في نفس الوقت ملاحظة آيولف.

بورغيم: آه، آيولف، بالمناسبة، أين هو اليوم؟ فمعي شيء له.

أولمرز: إنه يلعب في مكان ما في الخارج.

بورغيم: أيلعب حقاً؟ إذن فقد بدأ يلعب الآن؟ بعد أن كان قد اعتاد البقاء داخل المنزل منكباً على كتبه.

أولمرز: يجب أن ينتهي كل ذلك، وسأجعل منه غلاماً رياضياً منظماً.

بورغيم: آه، هذا هو الرأي! إلى الهواء الطلق أيها المخلوق الصغير المسكين! يا أله، ماذا نستطيع أن نعمل في هذه الدنيا السعيدة خيراً من اللعب؟ أما أنا فاعتقادي أن هذه الحياة ليست إلا وقتاً طويلاً للعب! – هيا يا مس آستا!

(يخرج بورغيم وآستا إلى الشرفة ومنها ينزلان إلى الحديقة).

أولمرز: (يقف متتبعاً إياها بنظرة) ريتا – أتظنين أن عاطفة ما تربط بين هذين الاثنين؟

ريتا: لست أدري ما أقول، فقد كنت قبلاً أظن أن بينهما عاطفة متبادلة، ولكن آستا أصبحت في المدة الأخيرة جد غريبة عني – بحالة يعييني إدراك سببها.

أولمرز: حقاً أتغيرت؟ أكان ذلك أثناء رحلتي؟

ريتا: نعم، خلال الأسبوع أو الأسبوعين الأخيرين.

أولمرز: أو تحسبينها لا تهتم به الآن كثيراً؟

ريتا: ليست عنايتها به جدية كاملة مخلصة – وإني لعلي ثقة من ذلك (تنظر إليه متفحصة) أيضايقك اهتمامها به؟

أولمرز: لا يضايقني كل الضيق، ولكنا ستكون فكرة مزعجة لا شك.

ريتا: مزعجة؟

أولمرز: نعم، تذكري أني مسئول عن آستا– وعن سعادتها.

ريتا: أوه صه – مسئول! لقد بلغت آستا دون ريب سن الرشد، ويمكن القول بأنها تستطيع الاختيار لنفسها.

أولمرز: نعم، علينا أن نأمل ذلك يا ريتا.

ريتا: من ناحيتي أنا، لا أرى أي سوء في بورغيم

أولمرز: نعم يا عزيزتي – ولا أنا أيضاً – بل على العكس تماماً، ولكن على الرغم من ذلك –

ريتا: (مستمرة في حديثها) وإنه ليسرني حقاً أن ينتهز هو وآستا هذه الفرصة.

أولمرز: (ضجراً) أوه، وما الذي يسرك في هذا؟

ريتا: (يتزايد انفعالها) لأنها إذ ذاك سترحل معه بعيداً، بعيداً جداً! ولن يكون في استطاعتها أن تزورنا كما تفعل الآن.

أولمرز: (يحملق فيها في دهشة) ماذا! أترغبين حقاً في أن تبتعد آستا عن المنزل؟

ريتا: نعم، نعم يا ألفريد!

أولمرز: ولماذا؟ لأي سبب...؟

ريتا: (تطوق عنقه بذراعيها في شغف) لأني أكون قد استطعت إذ ذاك أن أجعلك أخيراً لي وحدي! ومع ذلك – حتى بعد رحيلها، لن تكون لي بكليتك! (تبكي بكاء تشنجياً) أوه، ألفريد، ألفريد – لا يمكنني أن أتحمل بعدك عني.

أولمرز: (يتحرر منها بلطف) يا عزيزتي ريتا، كوني عاقلة!

ريتا: لا يهمني التعقل في قليل أو كثر! لست أهتم إلا بك فقط! أنت وحدك دون العلم أجمع! (تطوق عنقه بذراعيها ثانية) أنت، أنت، أنت!

أولمرز: دعيني، دعيني – كدت أن تكتمي أنفاسي!

ريتا: (تتركه) كم أتمنى لو كان في استطاعتي ذلك! (تنظر إليه بعينين ناريتين) أو، لو كنت

تعلم كم كرهتك...!

أولمرز: كرهتني...!

ريتا: نعم – عندما تغلق عليك باب حجرتك وتنصرف بكليتك إلى عملك – حتى ساعة متأخرة، متأخرة جداً من الليل (في شكوى وحنين) كل هذا الوقت الطويل، وإلى هذه الساعة المتأخرة يا ألفريد، أوه، كم كرهت عملك!

أولمرز: ولكنني انتهيت منه الآن.

ريتا: (تضحك ضحكة مكتومة) أوه، نعم! فقد انصرفت الآن إلى عمل آخر أسوأ.

أولمرز: (مصدوماً) أسوأ؟ أتسمين ابننا عملاً أسوأ.

ريتا: (بعنف) نعم، هذا أسميه به، أسميه كذلك لأنه صار حائلاً بيني وبينك، لأن الكتاب – الكتاب لم يكن مخلوقاً حياً كطفلنا (بحدة تتزايد) ولكني لا أستطيع أن أتحمل ذلك يا ألفريد! ولن أتحمله بعد الآن – وها وقد أوضحت لك!

أولمرز: (ينظر إليها بثبات وهو يتكلم بصوت خافت) كثيراً ما كنت أخافك يا ريتا.

ريتا: (واجمة) وكثيراً ما كنت أخاف نفسي، ولهذا السبب وحده عليك ألا توقظ نزعة الشر في نفسي.

أولمرز: ولماذا أفعل ذلك بحق السماء؟

ريتا: نعم، إنك تفعل ذلك – إذ تمزق الروابط المقدسة التي تربطنا.

أولمرز: (في إلحاح) فكري فيما تقولين يا ريتا، إنه ابنك – ابننا الوحيد، ذلك الذي تتحدثين عنه.

ريتا: ليس لي في الطفل إلا النصف (في غضب) ولكنك أنت ستكون لي وحدي! ستكون لي بكليتك! ولي الحق في أن أطلب منك ذلك!

أولمرز: (يهز كتفيه) أوه، لا فائدة من الطلب يا عزيزتي ريتا، إذ على الانسان أن يعطي بحرية دون جبر أو اضطرار.

ريتا: (تنظر إليه بشوق) وهلا تستطيع أن تفعل ذلك الآن؟

أولمرز: كلا، لا أستطيع، إذ يجب أن أقسم نفسي بين آيولف وبينك.

ريتا: وإن لم يكن آيولف قد ولد، ماذا كان يحدث؟

أولمرز: (في موارية) أوه كان الأمر يختلف، إذ لا يكون لي من أعتني به إلاك –

ريتا: (بنعومة وقد ارتجف صوتها) إذن، كم أتمنى ألا يكون قد ولد.

أولمرز: (مغضباً) ريتا! إنك لا تعرفين ما تقولين!

ريتا: (تضطرب تحت تأثير عواطفها) لقد أخرجته إلى الوجود بعد أن عانيت من الآلام ما يفوق الوصف، ولكني تحملت كل هذه الآلام في سرور مفرط لا يحد من أجلك أنت.

أولمرز: (بمرارة) أوه، نعم، أعرف، أعرف.

ريتا: (في صوت كالتمتمة) ولكن هذا كله سينتهي، وسأحيا حياتي – معك وحدك – وسأكون لك بكليتي. فليس في استطاعتي أن أعيش كأم لآيولف فقط – أمه فقط ولا شيء غير ذلك، لن أفعل هذا، وها قد أخبرتك! لن أستطيع! سأكون لك وحدك! لك يا ألفريد!

أولمرز: ولكن هذا هو حالك بالضبط يا ريتا، إذ أنك عن طريق طفلنا.

ريتا: أوه – جمل تافهة كريهة – ولا شيء غير ذلك! كلا يا ألفريد. لن أرضى عن ابعادي بهذه الطريقة، كان من الممكن أن أكون أماً للطفل، فإني صالحة لذلك، ولكني لن أكون أماً فقط، وعليك يا ألفريد أن تأخذني كما أنا.

أولمرز: ومع ذلك فقد كنت شديدة الشغف بآيولف.

ريتا: كنت لقلة عنايتك به شديدة العطف عليه، فقد تركته ينكب على قراءة الكتب، وقليلاً ما كنت تراه.

أولمرز: (يحني رأسه ببطء) نعم كنت أعمى، ولم يكن الوقت قد حان بعد.

ريتا: (تنظر في وجهه) وأظنه الآن قد حان؟

أولمرز: نعم، أخيراً، فقد رأيت الآن أن أرفع عمل يمكن أن أؤديه في هذه الدنيا أن أكون أباً حقيقياً لآيولف.

ريتا: وأنا؟ ماذا ستكونه لي؟

أولمرز: (بلطف) سأستمر على العناية بك في حنان هادئ عميق (يحاول أن يمسك يديها).

ريتا: (تبتعد عنه) لا يهمني مطلقاً حنانك الهادئ العميق، فإني أريدك بكليتك – ووحدك! تماماً كما كنت في أيامنا الأولى السعيدة الجميلة (بعنف وخشونة في صوتها) أبدا، لن أرضى أبداً يا ألفريد بأن تبعدني عنك هكذا كالنفاية المهملة!

أولمرز: (في صوت مسالم) كنت أظننا نعيش نحن الثلاثة يا ريتا في سعادة غامرة.

ريتا: (باحتقار) إذن فأنت ممن يسعدهم أقل القليل (تجلس على المنضدة اليسرى) الآن أستمع إلى ما أقول.

أولمرز: (يقترب منها) حسن تكلمي.

ريتا: (تنظر إليه وفي عينيها توهج محبوب) عندما وصلتني برقيتك مساء أمس

أولمرز: نعم؟ ماذا حدث؟

ريتا: – إذ ذاك ارتديت ثوياً أبيض –

أولمرز: نعم لاحظت عند وصولي أنك تلبسين ثوباً أبيض.

ريتا وتركت شعري مرسلاً..

أولمرز: خصلات شعرك الجميلة..

ريتا: – كي تغمر عنقي وكتفي –

أولمرز: لقد رأيت ذلك، رأيته، أوه، ما كان أجملك يا ريتا!

ريتا: وكانت المصابيح مغطاة بستر حمر، وكنا وحدنا نحن الاثنين فقط المخلوقين المستيقظين في هذا النزل، وكان على المنضدة شمبانيا.

أولمرز: لم أشرب منها شيئا.

ريتا: (تنظر إليه في مرارة) نعم، هذا حقيقي (تضحك ضحكة خشنة) ((كانت هناك شمبانيا ولكنك لم تذقها)) – كما قال الشاعر (تترك الكرسي ذا المساند وتذهب الى الأريكة متعبة فتجلس عليها في شبه اضطجاع).

أولمرز: (يعبر الغرفة ويقف أمامها) كانت تشغلني أفكار جدية، فقد كنت أفكر أن أحدثك عن مستقبلنا يا ريتا – وأولاً وعلى الخصوص عن مستقبل آيولف.

ريتا: (مبتسمة) وقد فعلت.

أولمرز: كلا، لم يكن لدي الوقت الكافي فقد بدأت تخلعين ملابسك.

ريتا: نعم، وكنت أنت إذ ذاك تتحدث عن آيولف، ألا تتذكر؟ كنت تريد أن تعرف كل شيء عن حالة الهضم عند آيولف الصغير.

أولمرز: (ينظر إليها مؤنباً) ريتا!

ريتا: وعندئذ ذهبت إلى فراشك ونمت نوماً عميقاً.

أولمرز: (يهز رأسه) ريتا – ريتا!

ريتا: (تنام على الأريكة وتنظر إليه) ألفريد؟

أولمرز: ماذا؟

ريتا: ((كانت لك هنا شمبانيا، ولكنك لم تذقها)).

أولمرز: (في صوت خشن) كلا، لم أذقها.

(يتركها ويقف عند باب الحديقة بينما ترقد ريتا بغض الوقت دون حراك وقد أغمضت عينيها).

ريتا: (تنهض فجأة) ولكن دعني أخبرك بأمر واحد يا ألفريد.

أولمرز: (يلتفت إليها وهو عند الباب) ماذا؟

ريتا: يجب ألا تحس بالأمان التام كما تفعل!

أولمرز: لست آمنا؟

ريتا: ويجب ألا تكون عديم الاكتراث هكذا! ويجب ألا تكون واثقاَ تمام الثقة من امتلاكك لي!

أولمرز: (يقترب منها) ماذا تعنين بذلك؟

ريتا: (بشفاه مرتجفة) أنا لم أخنك قط يا ألفريد، ولو بالفكر! لم أخنك قط ولا لحظة واحدة.

أولمرز: نعم يا ريتا، وإني لأعلم ذلك – أنا الذي أعرفك تمام المعرفة.

ريتا: (بعينين تبرقان) ولكن إذا احتقرتني..

أولمرز: أحتقرك! لست أدري ماذا تعنين بذلك!

ريتا: أوه، إنك لا تعرف كل ما تضطرب به نفسي إذا. ..

أولمرز: إذا؟

ريتا: إذا أحسست أنك لم تعد تهتم بي – وأنك لم تعد تحبني كما كنت قبلاً.

أولمرز: ولكن يا عزيزتي ريتا – إن الأعوام تجلب معها تغيرات معينة – وسيحدث ذلك يوماً، حتى في نفوسنا نحن – كما يحدث للجميع.

ريتا: مطلقاً، لن يحدث ذلك لي! ولن أتجمل أيضاً أي تغير فيك – لن أحتمله يا ألفريد، فأنا أريد أن أحتفظ بك لوحدي.

أولمرز: (ينظر إليها مهموماً) إنك تحملين نفسك بذور غيرة مخيفة..

ريتا: لن أستطيع تغيير نفسي (متوعدة) اذا أنت قسمت نفسك بيني وبين أي شخص آخر

أولمرز: ماذا يحدث اذن–؟

ريتا: اذ ذاك سأنتقم منك يا ألفريد!

أولمرز: وكيف تنتقمين؟

ريتا: لا أدري كيف– أوه، نعم، اني أعرف ذلك تماما!

أولمرز: ماذا؟

ريتا: سأذهب وأرمي نفسي بعيدا–

أولمرز: ترمين نفسك بعيدا، أقلت ذلك؟

ريتا: نعم هذا ما سأفعله، سأرمي بنفسي بين ذراعي – ذراعي أول رجل يعترض طريقي!
أولمرز(ينظر اليها بجنون وهو يهز رأسه) ذلك ما لن تفعليه يا عزيزتي ريتا المخلصة المحبة الفخور!

ريتا: (تطوق عنقه بذراعيها أوه انك لا تعرف ما الذي سأتحول اليه اذا – اذا امتنعت عن حبي.

أولمرز: لا أحبك يا ريتا؟ كيف تقولين ذلك؟

ريتا: (تتركه وهي شبة ضاحكة) لماذا لا أنصب شراكي ل–لمهندس الطرق هذا الذي يحوم حول منزلنا؟.

أولمرز: (مرتاحا) أوه شكرا الله – فانك تمزحين.

ريتا: مطلقا، انه يليق تمام اللياقة كأي رجل أخر.

أولمرز: ولكني أظن أن شباكا صادته ان قليلا أو كثيرا، وقد انتهى أمره.

ريتا: وهذا مما يزيد الأمر حسنا! اذ أنني اذ ذاك سأنتزعه من شخص آخر، بالضبط كما فعل ايولف معي.

أولمرز: أتجرؤين على القول بأن صغيرنا ايولف فعل ذلك؟

ريتا: (تشير بسبابتها) هل ترى الآن! هل ترى! كيف يحن صوتك ويرتجف عندما تذكر ايولف! (متوعدة وهي تقبض بيديها) أوه، كثيرا ما تغريني بأن اتمنى–

أولمرز: (ينظر اليها بقلق) مالذي أغريك على تمنيه يا ريتا؟

ريتا: (تبتعد عنه في عنف) لا، لا، لا – لن أبرك ابدا!!

أولمرز: (يقترب منها) ريتا! أتوسل اليك – من أجلي ومن أجلك أنت ايضا – لا تدعي الاغراء يدفع بنفسك نحو الشر.

(يعود بورغيم وآستا من الحديقة وقد بدت عليهما العواطف المكبوتة والجد

والغم تظل آستا في الشرفة ويدخل بورغيم).

بورغيم: اذن فقد انتهى الأمر –يا مس أولمرز، انتهت آخر جولاتي معك.

ريتا: (تنظر اليه في عجب) آه! أليس من رحلة أطول تتبع هذه الجولة؟

بورغيم: بلى، لي انا.

ريتا: وحدك؟

بورغيم: نعم وحدي.

ريتا: (تلقي على أولمرز نظرة غم) أسمعت ذلك؟ (تلتفت الى بورغيم) أراهن أن انسانا حسدك فأصابتك العين ففشل مشروعك.

بورغيم: (ينظر اليها) العين الحسود؟

ريتا: (تحني راسها) نعم، العين الحسود.

بورغيم: تعتقدين في الحسد والعين يا مستر أولمرز؟

ريتا: نعم، بدأت أعتقد في الحسد والعين، وبخاصة عين الطفل الحسود.

أولمرز: (يهمس مصدوما) ريتا – كيف تجسرين –؟

ريتا: (في صوت خافت) أنت الذي جعلت مني هذه المخلوقة الشريرة التي يملؤها المقت يا الفريد.

(تسمع أصوات صياح وصراخ مختلطة عن بعد من ناحية الفيورد).

بورغيم: (يذهب الى الباب الزجاجي) ما هذه الضوضاء؟

آستا: (عند الباب) انظر إلى كل هؤلاء الناس، إنهم يجرون نحو رصيف البحر!

أولمرز: ماذا يمكن يكون قد حدث؟ (ينظر الى الخارج بضع لحظات) لا شك أن أطفال الشوارع هؤلاء قد عادوا الى الشجار.

ريتا: ماذا يقولون؟

بورغيم: يقولون ان طفلا غرق.

أولمرز: طفل غرق؟

آستا: (في قلق) يقولون انه غلام صغير.

أولمرز: إنهم يجيدون السباحة كلهم، كلهم يجيدونها.

ريتا: (تتراجع في فزع) أين آيولف؟

أولمرز: اهدئي – اهدئي، فآيولف يلعب في الحديقة.

آستا: لا لم يكن في الحديقة.

ريتا: (ترفع ذراعيها إلى أعلى) أوه، أرجو من الله ألا يكون هو!

بورغيم: (يستمع وينادي من في الشارع) تقولون طفلاً من هو؟

(تسمع أصوات مبهمة فتصدر عن بورغيم وآستا صرخة مكتومة ثم يندفعان إلى الخارج عبر الحديقة).

أولمرز: (يخزه الخوف) ليس هو آيولف! ليس آيولف يا ريتا!

ريتا: (في الشرفة وهي تتسمع) هش! اسكت! دعني أسمع ما يقولون!

(تندفع ريتا متراجعة إلى الغرفة وهي تصرخ صرخة مدوية).

أولمرز: (يتبعها) ماذا قالوا؟

ريتا: (تسقط على الأرض بجانب الكرسي الأيسر ذي المساند) قالوا ((العكاز طاف فوق الماء)).

أولمرز: (وكأنما أصابه الشلل) لا! لا! لا!

ريتا: (في صوت مبحوح) آيولف! آيولف! أوه، يجب أن ينقذوه!

أولمرز: (في شبه حيرة) يجب! يجب! هذه الحياة الثمينة!

(يندفع إلى الشارع عبر الحديقة)

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر:

واد صغير ضيق في ممتلكات أولمرز بجانب الفيورد، الى اليسار شجرة كبيرة عجوز وكأنها قنطرة فوق المكان، وفي نهاية المنظر مجرى صغير يتشعب بين الصخور على حدود الغابة، والى جانب المجرى طريق يدور معه، الى اليمين بضع شجيرات متفرقة يبدو خلالها الفيورد، الى الأمام لا يبدو الا طرف كوخ يحرى وضع أمامه قارب، تحت الشجرة العجوز منضدة ومقعد وكرسي أو كرسيان مصنوعة كلها من أغضان الأشجار.

اليوم بارد رطب كثير الضباب.

الفريد أولمرز – في ملابسه السابقة– جالس على المقعد وقد وضع ذراعيه على المنضدة وقبعته أمامه وهو يحملق في الماء شارد اللب دون حراك. عند رفع الستار تأتى آستار أولمرز من طريق الغابة حاملة يدها مظلة مفتوحة.

آستا: (تذهب اليه في هدوء وحذر) يجب ألا تجلس هنا في هذا الجو الكئيب يا ألفريد.

أولمرز: (يحني رأسه عدة مرات في بطء دون أن يجيب).

آستا: (تغلق مظلتها) بحثت عنك طويلا.

أولمرز: (في صوت غير معبر) شكرا لك.

آستا: (تجلس على كرسي ملتصقة به) أظللت جالسا هنا مدة طويلة؟ طول الوقت؟

أولمرز: (لا يجيب في أول الأمر، ثم يقول بعد فترة). لا لست أعقل ما حدث، يبدو لي أن وقوعه غير ممكن.

آستا: (تضع يدها على ذراعه في اشفاق) مسكين يا ألفريد!

أولمرز: (يحملق فيها) أأمر واقع هو اذن يا آستا، أم أني قد جننت ,أم أني حالم؟ أوه، لو كان حلما تصوري لو كنت أستيقظ!

آستا: آه لو استطيع أن أوقظك!

أولمرز: (ينظر الى الماء) ما أقس منظر الفيورد اليوم، انه ثقيل لا يتحرك – في لون الرصاص وقد تناثر فوقه الزبد الاصفر– وانعكست عليه صورة السحب المحملة بالأمطار–

آستا: (متوسلة) أوه، لا تجلس هكذا محملقا في الفيورد يا ألفريد!

أولمرز: (غير مكترث لما قالته) على هذا السطح، نعم، لكن في الأعماق – حيث تتدافع التيارات المتعارضة–

آستا: (مذعورة) أوه بالله عليك – لا تفكر في الأعماق!

أولمرز: (ينظر اليها في لطف) أتظنينه يرقد بالقرب منا يا آستا؟ ولكن لا، لا تظني ذلك، تذكري كيف يندفع التيار بقوة الى الخارج – نحو البحر الواسع.

آستا: (ترمي برأسها على المنضدة وتأخذ في البكاء وهي نخفي وجهها بين يديها) أوه، يارب! يارب!

أولمرز: (في بطء) وهكذا ترين أن ايولف الصغير قد ابتعد كثيرا – ابتعد كثيرا عنا الآن.

آستا: (تنظر اليه في توسل) اوه يا ألفريد، لا تقل مثل هذا الكلام!

أولمرز: ولماذا؟ في وسعك معرفتها بنفسك – بمهارتك التي اثرت عنك، في ثمان وعشرين ساعة – تسع وعشرين– دعيني أتذكر! دعيني أتذكر!

آستا: (تصرخ وهي تسد أذنيها) ألفريد!

أولمرز: (يقبض على المنضدة بقوة بكلتا يديه) أيمكنك تصور معنى شيء كهذا؟

آستا: (تنظر اليه) كأي شيء؟

أولمرز: كهذا الذي حدث لريتا ولي؟

آستا: معناه؟

أولمرز: (في ضيق) نعم معناه و هذا ما قلته، اذ يجب أن يكون له معنى على أي حال، فالحياة والوجود – والقدر لا يمكن أن تكون كلها أشياء بلا معنى.

آستا: أوه يا عزيزي ألفريد من يستطيع الحديث في مثل هذه الأشياء واثقا.

أولمرز: (يضحك بمرارة) لا، لا، أظنك على حق في ذلك، ربما كان الأمر كله نتيجة للصدفة – سار في طريقه كحطام السفينة التي تندفع دون دفة، وهذا ما يمكن أن تفسر به ما حدث، أو على الأقل هذا ما يبدو لنا.

آستا: (مفكرة) ماذا كان يبدو فقط؟

أولمرز: (في عنف) آه؟ ربما استطعت حل هذه المشكلة، فانا موقن من أنني لا أستطيع لها حلا (أكثر لطفا) ها هو ذا ايولف، بدأ يقف على عتبة الحياة، وأمامه الفرص الكثيرة – الفرص التي قد تكون رائعة، والتي كانت تملأ حياتي بالسرور، والفخر، ثم تأتي من هذا الطريق امرأة عجوز مجنونة – وتظهر لنا كلبا في حقيبتها –

آستا: ولكننا على الأقل لا نعرف تماما كيف حدث ما حدث.

أولمرز: بل نعلم فقد رآها الأولاد وهي تسير بقاربها على الفيورد ورأوها واقفا وحده في نهاية الرصيف، ورأوه يحملق في اتجاهها – ثم يبدو أنه أصيب بالدوار (يرتجف) وهكذا سقط في الماء واختفى.

آستا: نعم، نعم ولكن على الرغم من ذلك –

أولمرز: انها جذبته الى الأعماق – كوني على ثقة من ذلك يا عزيزتي.

آستا: ولكن لملذا فعلت ذلك يا ألفريد؟

أولمرز: نعم. هذه هي المسألة ـ لماذا فعلت ذلك؟ انها لم تفعله عقابا له – أعني جزاء ما فعل، فايولف لم يؤذها قط، لم يسبها لم يرجم كلبها بالأحجار، بل انه لم يرها قط لم ير كلبها الا البارحة. اذن لا مجازاة يا آستا، وكل ما حدث لا سبب له ولا معنى – ومع ذلك فنظام الحياة يريده.

آستا: هل أطلعت يا ريتا على تلك الأفكار؟

أولمرز: (يهز رأسه) يخيل الي أنني أستطيع أن أتحدث اليك في ذلك خيرا مما أتحدث اليها (يتنهد في عمق) بل في كل أمر آخر أيضا.

(تخرج آستا من جيبها أدوات الحياكة وحزمة صغير من الأشرطة بينما يجلس أولمرز محملقا شارد اللب).

ما هذا الذي معك يا آستا؟

آستا: (تأخذ قبعته) قليل من الشرائط السوداء.

أولمرز: أوه، وماذا يفيد وضعها؟

آستا: هذا ما طلبته ريتا مني، فهل أفعل؟

أولمرز: أوه، نعم في كل ما يختص بي– (تضع الشريط الأسود حول القبعة وتخيطه عليها، بينما ينظر اليها وهو جالس).

أين ريتا؟

آستا: أظنها تسير في الحديقة بعض الوقت مع بورغيم.

أولمرز: (يعتريه قليل من العجب) حقا! أعاد بورغيم اليوم ثانية؟

آستا: نعم أتى بقطار الظهر.

أولمرز: ما كنت أنتظر ذلك.

آستا: (وهي مشغولة بالحياكة) كان جدا مولع بايولف.

أولمرز: ان بورغيم مخلص يا آستا.

أولمرز: (يتبت أنظاره عليها) أتحبينه حقا؟.

آستا: نعم أحبه.

أولمرز: ومع ذلك لا تستطيعين التفكير في –.

آستا: (مقاطعة) أوه يا عزيزي الفريد، لا تحدثني في هذا الأمر!

أولمرز: بلى، بلى، خبريني لماذا لا تستطيعين.

آستا: أواه، كلا! أرجوك يجب ألا تسألني، فان ذلك يؤلمني كما ترى – والآن بقد انتهيت من قبعتك.

أولمرز: شكرا لك.

آستا: الذراع اليسرى الان.

أولمرز: أحتم أن أضع شريطا حولها أيضا؟

آستا: نعم، هذه هي العادة الجارية.

أولمرز: ليكن – كما تريدين.

آستا: (تتحرك حتى تلتصق به وتبدأ الحياكة) لا تحرك يدك – والا دخلت الابرة فيها.

أولمرز: (في شبه ابتسام) انما يذكرني هذا بأيامنا القديمة الماضية.

آستا: نعم ألا ترى ذلك؟

أولمرز: كنت دائما وأنت فتاة صغيرة تجلسين الى جانبي هكذا لتصلحي ما تمزق من ثيابي، وكان أول ما قمت بخياطته لي – شريطا أسودا أيضا.

آستا: أكان كذلك؟

أولمرز: حول قبعتي المدرسية – عندما مات أبي.

آستا: وهل كنت أعرف الحياكة ان ذاك؟ تصور أنني نسيت ذلك.

أولمرز: أوه، كنت ان ذاك مخلوقة صغيرة.

آستا: نعم كنت ان ذاك صغيرة.

أولمرز :وبعد مرور علمين – عندما ماتت أمك – وضعت لي مرة أخرى شريطا أسود خول كمي.

آستا: أظنني لم أخطئ في ذلك.

أولمرز: (يربت على يدها) كلا، كلا ما كنت مخطئة فيما فعلت، ولما أصبحنا وحيدين في هذا العالم، نحن الاثنين ـــــ هل انتهيت الآن؟

آستا: نعم (تجمع أدوات الحياكة) كان ذلك الوقت أجمل أوقاتنا يا ألفريد ـــــــ كنا اثنين لا شريك لنـــــــــــــا.

أولمرز: نعم، كان وقتا جميلا ـــــــ على الرغم من أننا كنا مجبرين على العمل الشاق.

آستا: كنت تعمل حتى ينهكك التعب.

أولمرز: (أكثر حياة) كنت أنت أيضا تتعبين في عملك ولا شك (مبتسما) يا عزيزتي المخلصة ـــــ ايولف.

آستا: أوه، لا تذكرني بهـــــــــــــــــذا الكلام الفارغ الذي لا معنى له حول الاسم.

أولمرز: حسن، ولكنك إذا كنت غلاما لـــــــكان اســـــــــمك ايولف.

آستا: نعم، إذا! ولكـــن عندما بدأت تذهب إلى الكلية ـــــ (تبتسم مجبرة) إني أعجب كيف كانت تصرفاتك صبيانية هكـــــذا.

أولمرز: أأنا الذي كنت كذلك؟

آستا: نعم، فإني إذا ما فكرت في الأمر كله أجد أنك أنت الذي كنت كالطفل في تصرفاتك، فقد كان يخجلك ألا يكون لك أخ ـــــــ و أن يكون لك أخت فقط.

أولمرز: لا لا، إنه أنت يا عزيزتي ـــــــ أنت التي كنت تخجلين.

آستا: أوه، نعم أنا أيضا كنت أخجل ـــــــ قليلا، وكنت لسبب أو لآخر آسف من أجلك ـــــــ

أولمرز: نعم، أظنك كنت تأسفين من أجلي، ولذلك بعض قطع من ملابسي القديمة ـــــــ

آستا: من ملابســك الجميلة التي كنت تلبسها أيام الآحاد ـــــــ نعم، أتذكر الصديري الآزرق والبنطلون؟

أولمرز: (يثبت أنظاره عليها) أذكر تماما منظرك وأنت تلبسينها.

آستا: مع أنني لم أكن ألبسها إلا في البيت فقط، ونحن وحيدان.

أولمرز: كم كنا جادين يا عزيزتي، وكم كنا مسرورين من أنفسنا، كنت دائما أناديك باسم ايولف.

أولمرز: أوه يا ألفريد، عسى ألا تكون قد أخبرت ريتا بذلك؟

أولمرز: أظنني أخبرتها مرة.

آستا: أوه يا ألفريد، كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟

أولمرز: حسن، سأخبرك – إن الرجل يخبر زوجته بكل شيء ـــــ تقريبا.

آستا: نعم أظنه يفعل ذلك.

أولمرز: (كأنما استيقظ من نوم فيفرك جبهته وينهض فجأة) أوه، كيف استطعت الجلوس هنا و ـــ

آستا: (تنهض، وقد بدا عليها أنها تأسف له) ماذا حدث؟

أولمرز: لقد ابتعد كل البعد عن ذاكرتي، لقد نسيته تماما.

آستا: ايولف!

أولمرز: ها أنذا جالس أســترجع ذكرياتي ـــــ دون أن يكون له أي دور فيها.

آستا: كلا يا ألفريد ـــــ كان ايولف الصغير وراء كل ذكرياتك.

أولمرز: كلا، لم يكن وراءها، ولــكنه فر من ذاكرتي ـــ من أفــكاري، لم أذكره لحظة واحدة طوال حديثنا، لقد نسيته كل هذا الوقت.

آستا: و لــكن عليك أن تريح نفسك من أحزانك بعض الوقت.

أولمرز: لا، لا، لا، مـــــذا ما لن أفعله! وما يجب ألا أفعله ـــ فليس لي الحق، ولا القلب الذي ينسى (يذهب إلى الجهـــــــــــة اليمنى في انفعال شديد) يجب أن تتــجمع أفكاري كلها هناك حيث يرقد في الأعماق غريقا!

آستا: (تتبعه محـــــــاولة إرجاعه) ألفريد ـــــ ألفريد! لا تذهب إلى الفيورد.

أولمرز: يجب أن أذهب إليه! دعيني أذهب يا آستا! سآخذ القارب.

آستا: (في فزع) لا تذهب إلى الفيورد، قلت لك لا تذهب!

أولمرز: (مذعنا) نعم، نعم ـــــ لن أذهب، ولكن، ديعني وحدي.

آستا: (تقوده ثانية إلى المنضدة) يجب أن تريح نفسك من هذه الأفكار يا ألفريد، تعال اجلس هنا.

أولمرز: (وكأنما سيجلس على المقعد) حسن، حسن ـــــ كما تريدين.

آستا: لا، لن أدعك تجلس هنا.

أولمرز: لا، دعيني.

آستا: كلا، مطلقا، لأنك إذ تجلس هنا ستستمر على النظر هناكـــ (تجلسه على كرسي بحيث يكون ظهره متجها للناحية اليمنى) والآن، هذه جلسة جميلة (تجلس على المقعد) نستطيع الآن أن نعاود الحديث قليلا.

أولمرز: (يتنهد بصوت مسموع) كان جميلا أن نخمد أحزاننا والآم قلوبنا للحظة.

آستا: يجب أن تفعل ذلك يا ألفريد.

أولمرز: ولكن ألا ترين انه من الضعف و بلادة الشعور الفظيعة ـــــ أن نستطيع فعل ذلك؟

آستا: أوه، كلا ـــــ فإني واثقة من أن عقلك لا يمكنه أن يحوم إلى الأبد حول فكرة واحدة ثابتة.

أولمرز: نعم، يستحيل علي ذلك، فقد كنت جالسا هنا قبل قدومك معذبا نفسي في صمت بتلك الأحزان المؤلمة التي حطمتني ـــــ

آستا: وبعد؟

أولمرز: أتقصدين ذلك يا آستا ـــــ ؟ هم ـــــ

آستا: ماذا؟

أولمرز: إذا بي بين كل هذه الآلام أفكر في نوع الطعام الذي سنأكله اليوم.

آستا: حسن، حسن، لو كان ذلك فقط يريحك.

أولمرز: نعم، تصوري يا عزيزتي ـــــ أنه كان يبدو أمرا مريحا (يمسك يدها على المنضدة) ما أحســن وجودك معي يا آستا، إنه يسرني كثيرا، يسرني، يسرني ـــــ حتى بين أحزاني.

آستا: (تنظر إليه في جد) يجب أن تكون مسرورا قبل كل شيء بوجودك مع ريتا.

أولمرز: نعم، لا ريب في ذلك، ولكن ريتا ليست من أقربائي ـــــ فالأمر يختلف عندما يكون للإنسان أخت.

آستا: (في شوق) أتعني ذلك يا ألفريد؟

أولمرز: نعم، فأسرتنا وحدة مختلفة عن غيرها (في شبه مزاح) فكــلنا تبدأ أسماؤنا بحرف واحد هو الهمزة، ألا تذكرين كيف كنا في كثير من الأوقات نتحدث عن ذلك؟ و كل أقربنا ـــــ كلهم فقراء، وكلنا عيوننا لها لون واحد.

آستا: أتظن أن لعيني لون عيونكم ـــــ ؟

أولمرز: كلا، فإنك تشبهين أمك كل الشبه، ولست تشبهين أحدا منا أقل شبه ـــــ إنك حتى لا تشبهين أبانا، ومع ذلك ـــــ

آستا: ومع ذلك ـــــ ؟

أولمرز: حسن، أني أعتقد أن معيشتنا سويا طبعت كلا منا على غرار الآخر ـــــ أعني من الناحية العقلية.

آستا: (بانفعال شديد) أوه يا ألفريد، لا تقل مـــــــــــــــذا أبدا، فإني أنا التي طبعت على غرارك، وإني لمدينة لك بكل شيء ـــــ كل شيء طيب في هذا العالم.

أولمرز: (يهز رأسه) لست مدينة لي بشيء يا آستا، بل على العكس ـــــ

آستا: إني مدينة لك بكل شيء! لا تشك في ذلك أبدا، وليست هناك أي تضحية لا تستحقها ـــــ

أولمرز: (يقاطعها) أوه، يا للهراء – تضحية لا تتحدثي عن مثل هذه الأمور ـــــ كل ما حدث أنني أحببتك منذ كنت طفلة صغيرة يا آستا (بعد ســـكوت قصير) كان يخيل إلى إذا ذاك أنه يجب علي أن أعوضك عن الظلم الواقع عليك.

آستا: (في دهشة) الظلم؟ أنت؟

أولمرز: لست أنا بالضبط، ولكن ـــــ

آستا: (في شوق) ولكن ـــــ ؟

أولمرز: أبي.

آستا: (تقوم عن المقعد نصف قومة) أ ـــــ أبي! (تجلس ثانية) ما لذي تعنيه يا ألفريد؟

أولمرز: لم يكن أبي يعطف عليك عطفا حقيقيا.

آستا: (في شدة) أوه، لا تقل ذلك!

أولمرز: نعم، هذه هي الحقيقة إنه لم يكن يحبك ـــ لم يكن يحبك كما يجب.

آستا: (في مواربة) كلا، لعله لم يكن يحبني كما يحبك، ولكن هذا أمر طبيعي.

أولمرز: (مستمرا) وكثيرا ما كان يقسو على أمـــــــــــك أيضا ـــــــ على الأقل في سنوات الأخيرة.

آستا: (بنعومة) كانت أمي تصغره في السن كثيراـــــ كثيرا جدا ـــــــ لا تنسى هذا.

أولمرز: أتظنين أنه لم يكن بينهما توافق؟

آستا: ربما.

أولمرز: نعم، ولكن ذلك ـــــــ أبي الذي كان دائما ظريفا محبا ـــــــ عطوفا على كل شخص –

آستا: (بهدوء) كذلك أمي، في أحيان كثير لم تكن كما يجب أن تكون.

أولمرز: أمك!

آستا: ربما لم يكن ذلك على الدوام.

أولمرز: مع أبي تعنين؟

آستا: نعم.

أولمرز: لم ألاحظ ذلك قط.

آستا: (تغالب دموعها وتنهض) أوه يا عزيزي ألفريد ـــــــ دعم في راحة ـــــــ أولئك الذين رحلوا إلى غير عودة (تذهب إلى اليمين).

أولمرز: (ينهض) نعم، لندعهم في راحة (يعصر يديه) ولكن أولئك الذين رحلوا ـــــــ إنهم هم يا آستا الذين لا يدعوننا في راحة، لا في الليل ولا في النهار.

آستا: (تنظر إليه في عطف) الزمن كفيل بإراحتك يا ألفريد.

أولمرز: (ينظر إليها في حيرة) نعم، ألا ترينه يفعل ـــــ ولكن أني لي باجتياز هذه الأيام الأولى المخيفة (بصوت خشن) – هذا ما لا أستطيع تصوره.

آستا: (تضع يديها على كتفيه في توسل) اذهب إلى ريتا، أوه اذهب، أرجوك ـــــــ

أولمرز: (يبتعد عنها في شدة) لا لا لا ـــــــ لا تطلبي مني ذلك! فقد أخبرتك أنني لا أستطيع (بهدوء أكثر) دعيني أبقى هنا، معك.

آستا: حسن، لن أتركك.

أولمرز: (يقبض على يدها ويشد بقوة) شكـــرا لك على هذا! (ينظر إلى الفيورد بضع لحظات) أين يمكـــن أن يكون صـــــــغيري ايولف الآن؟ (يبتسم لها في حزن) أيمكنك أن تخبريني بذلك

ـــــــ يا ايولفي الكبير العاقل؟ (يهز رأســه) لن يســتطيع أحد في مــذا العالم إخــباري، كل ما أعلمه هو هذا الأمر المخيفـــــذلك أنه راح مني ولن يعود.

آستا: (تنظر إلى اليسار ثم تسحب يدها) ها قد أتوا.

(من طريق الغابة تدخل مسز أولمرز وهي تلبس ثوبا قاتما وتضع على رأسها قناعا أسود. يتبعها المهندي بورغيم و قد وضع مظلة تحت ذراعه).

أولمرز: (يذهب للقائها) كيف حالك يا ريتا؟

ريتا: (تتركه) أوه، لا تسألني.

أولمرز: ماذا أتى بك هنا؟

ريتا: جئت أبحث عنك، ماذا كنت تفعل؟

أولمرز: لا شيء، وقد سبقتك آستا اليَ.

ريتا: نعم، ولكن قبل مجيء آستا؟ كنت مبتعداً عني طوال هذا الصباح.

أولمرز: كنت جالساً هنا، أنظر الى الماء.

ريتا: أوه ـــــــ كيف تستطيع؟

أولمرز: (في ضيق) أفضل أن أظل وحيداً الآن.

ريتا: (تتجول في قلق) لتجلس هادئاً! لتبقى في مكان واحد!

أولمرز: ليس في العالم ما أتحرك من أجله.

ريتا: أما أنا فلا أتحمل البقاء في مكان واحد وقتا طويلاً، وخاصة هنا ـــــــــ والفيورد جد قريب مني.

أولمرز: ما من سبب الا قربه من الفيرود ـــــــ

ريتا: (لبورغيم) ألا ترى وجوب عودته معنا؟

بورغيم: (لأولمرز) أظن هذا أفضل.

أولمرز: لا، لا، دعني حيث أنا.

ريتا: سأبقى معك اذن يا ألفريد.

أولمرز: حسن جداً، ابقى اذن، وابقي أنت الآخرى، يا آستا.

آستا: (تهمس لبورغيم) هيا ولنتركهما وحدهما!

بورغيم: (ينظر اليها نظرة المدرك) مس أولمرز، هلا نستطيع السير قليلاً بعيداً عن هنا ـــــــ على الشاطئ؟ للمرة الأخيرة؟

آستا: (تأخذ مظلتها) نعم، تعال، لنبتعد قليلاً.

(تخرج آستا وبورغيم من خلف الكوخ البحري، بينما يتجول أولم في المكان لمدة قصيرة ثم يجلس على حجر تحت الأشجار التي الى اليسار).

ريتا: (تقف أمامه وقد أرخت يديها المتشابكتين) أمن الممكن أن تطرق هذه الفكرة بالك يا ألفريد ـــــــــ فكرة فقدان ايولف؟؟

أولمرز: (ينظر الى الأرض في حزن) علينا أن نعتادها.

ريتا: ان أستطيع، لن أستطيع، وذلك المنظر المخيف يتعقبني طوال حياتي.

أولمرز: (يرفع عينيه) أي منظر؟ ماذا رأيت؟

ريتا: لم أر شيئاً بنفسي، ولكني سمعت من يقص ذلك علي، أوه ـــــــــ!

أولمرز: عليك أن تخبرني في الحال.

ريتا: طلبت من بورغيم أن يصحبني الى الرصيف ـــــــ

أولمرز: وماذا تفعلين هناك؟

ريتا: لأسأل الأولاد كيف حدث ذلك.

أولمرز: ولكننا نعلم.

ريتا: علينا أن نزداد علماً.

أولمرز: حسن؟

ريتا: ليس صحيحاً أنه أختفى في الحال.

أولمرز: أقالو ذلك الآن؟

ريتا: نعم، قالوا أنهم رأوه راقداً في القاع، في الأعماق تحت الماء الصافي.

أولمرز: (يقرع أسنانه بعضها ببعض) ولم ينقذوه!ريتا: لم يكن ذلك مستطاعا فيما أظن.

أولمرز: كلهم يعرفون السباحة، كل واحد منهم، وهل أخبروك كيف كان راقدا وهم يرونه؟

ريتا: نعم، قالوا انه كان راقداً على ظهره بعيون متسعة مفتوحة.

أولمرز: عيون مفتوحة، ولكن، أكان هادئاً؟

ريتا: نعم، تمام الهدوء، ثم جاء شيء وجرفه بعيداً، وقالوا انه التيار السفلي.

أولمرز: (يحني رأسه ببطء) هذا اذن آخر ما رأوه منه.

ريتا: (تخنقها العبرات) نعم.

أولمرز: وأبدا ـــــــــــ أبداً لن يراه أحد مرة أخرى.

ريتا: (معولة) سأراه ليلاً ونهاراً، كما كان راقداً هناك.

أولمرز: بعيون متسعة مفتوحة.

ريتا: (ترتجف) نعم، بعيون متسعة مفتوحة، اني أراها! أراها الآن!

أولمرز: (ينهض في بطء وينظر اليها في وعيد هادئ) أكانت حاسدة، هذه الأعين، يا ريتا؟

ريتا: (يبهت وجهها) حاسدة ـــــــــ!

أولمرز: (يقترب منها) أكانت حاسدة هذه الأعين المحملقة الى أعلى؟ الى أعلى من الأعماق؟

ريتا: (تبتعد عنه) ألفريد ـــــــ!

أولمرز: (يتبعها) أجيبي! أكانت أعين طفل حسود؟

ريتا: (تصرخ) ألفريد! ألفريد!

أولمرز: انتهى الآن كل شيء ـــــــ تماماً كما كنت تريدين يا ريتا.

ريتا: أنا، ماذا كنت أريد؟

أولمرز: ألا يكون ايولف موجوداً.

ريتا: ما أردت هذا قط، وما خطر ببالي لحظة واحدة! كل ما أردته ألا يفصل ايولف بيننا، هذا ما كنت أريده.

أولمرز: حسن، حسن ـــــــ انه لن يفصل بيننا بعد الآن.

ريتا: (بنعومة وقد نظرت الى الفضاء) ربما الآن أكثر من أي وقت آخر (ترتجف فجأة) أوه، هذه الرؤية الفظيعة!

أولمرز: (يحني رأسه) عينا طفل حسود.

ريتا: (تبتعد عنه في خوف) دعني يا ألفريد، اني أخافك، لم أرك قبل الآن قط في مثل هذه الحالة.

أولمرز: (ينظر اليها ببرود ويقول بخشونة) انه الحزن، يجعلنا أشراراً ويملؤنا بالمقت والكراهية.

ريتا: (في خوف، ولكن ما زالت متحدية) هذا ما أشعر به أنا الأخرى.

(يذهب أولمرز الى اليمين وينظر الى الفيورد، بينما تجلس ريتا أمام المنضدة، يعمهما صمت قصير).

أولمرز: (يدير نحوها رأسه) لم تحبيه قط حباً حقيقياً صادقاً ـــــــ مطلقاً!

ريتا: (تدافع عن نفسها في برود) لم يدعني ايولف أحبه حباً حقيقياً صادقاً.

أولمرز: لأنك لم تريدي ذلك.

ريتا: أوه، كلا، لقد أردت، أردت ذلك، ولكن شخصاً وقف في الطريق بيننا ـــــــ منذ اللحظة الأولى.

أولمرز: (يدور حول نفسه الى اليمين) أتعنين أنني كنت الحائل بينكما؟

ريتا: أوه، كلا ـــــــ ليس في أول الأمر.

أولمرز: (يقترب منها) من اذن؟

ريتا: عمته.

أولمرز: آستا؟

ريتا: نعم وقفت آستا بيننا وسدت عليّ الطريق.

أولمرز: كيف يمكنك قول هذا يا ريتا؟

ريتا: نعم، ان آستا جذبته الى قلبه ـــــــ منذ اللحظة التي حدثت فيها ـــــــ حادثة السقوط التعسة.

أولمرز: ان كانت قد فعلت ذلك فانما فعلته بدافع الحب.

ريتا: (بشدة) هذا بالضبط ما أقصده! أنا لا أستطيع احتمال اقتسام أي شي مع أي انسان! وبخاصة الحب.

أولمرز: كان علينا، نحن الأثنين، أن نقتسم حبه بيننا.

ريتا: (تنظر اليه باحتقار) نحن؟ أوه، الحقيقة أنك أنت أيضاً لم تكن تشعر نحوه بذلك الحب الحقيقي.

أولمرز: (ينظر اليها في دهشة) أنا لم أكن أشعر ـــــــ!

ريتا: كلا، لم تكن تشعر بذلك، كنت في أول الأمر مأخوذاً بكليتك بذلك الكتاب الذي كنت تؤلفه ـــــــ عن المسئوليات.

أولمرز: (في قوة) نعم، كنت كذلك، ولكن كتابي بالذات ـــــــ لقد ضحيت به في سبيل ايولف.

ريتا: لم يكن الحب هو الدافع على هذه التضحية.

أولمرز: لماذا اذن تظنينني فعلت ذلك؟

ريتا: لأن الشك في نفسك أتلف عليك كل شيء، لأنك بدأت تشك ان كنت حقاً صاحب دعوة كبيرة في هذه الدنيا تعيش من أجلها.

أولمرز: (ينظر اليها مدققاً) أيمكن ملاحظة ذلك علي؟

ريتا: أوه، نعم ـــــــ بالتدريج، واذ ذاك احتجت الى ما يملأ عليك حياتك ـــــــ كان يبدو أنني لم أعد أكفي لهذا.

أولمرز: أنه قانون التغير يا ريتا.

ريتا: ولهذا أردت أن تجعل من الصغير المسكين ايولف معجزة.

أولمرز: لم يكن هذا ما أريده، انما أردت أن أجعل منه مخلوقاً سعيداً ـــــــ هذا ولا شيء غيره.

ريتا: ولكن ليس حبك له هو الدافع الى ذلك، واسأل نفسك (في خجل بعض الشيء من تعبيرها) ابحث عن الدوافع الأصلية التي تكون تحت ـــــــ وخلف أعمالك.

أولمرز: (يتجنب عينيها) هناك ما تحجمين عن ذكره.

ريتا: وأنت أيضاً.

أولمرز: (ينظر اليها مفكراً) اذا كان ما تقولينه حقاً، فمعنى هذا أننا نحن الاثنين لم نمتلك ابننا قط.

ريتا: نعم، لم نمتلكه عن حب حقيقي.

أولمرز: ومع ذلك نحزن عليه بكل هذه المرارة.

ريتا: (بسخرية) نعم، ألا يبدو هذا غريبا؟ أن نحزن كل هذا الحزن من أجل طفل صغير أجنبي عنا؟

أولمرز: (في غضب) أوه، لا تطلقي عليه لفظ أجنبي!

ريتا: (تهز رأسها في حزن) لم نكسب الطفل الى جانبنا قط يا ألفريد، لا أنا ـــــــ ولا أنت أيضاً.

أولمرز: (يعصر يديه) والآن، انتهى كل شيء! انهتى!

ريتا: ولا عزاء في أي مكان ـــــ ولا أي شيء.

أولمرز: (في انفعال مفاجئ) أنت سبب ذلك كله!

ريتا: (تنهض) أنا!

أولمرز: نعم أنت! فغلطتك هي التي جعلت منه ـــــ ما صار اليه! غلطتك هي التي لم تمكنه من انقاذ نفسه عندما سقط في الماء.

ريتا: (مشيرة كي ترده عن قوله) ألفريد ـــــ لن تلقي المسئولية كلها على كتفي!

أولمرز: (يتزايد غضبه شيئاً فشيئاً) بلى، بلى، سأفعل! فأنت التي تركت الطفل الصغير على المنضدة دون ملاحظة.

ريتا: كان راقداً في راحة بين الوسائد، وكان نائما نوماً عميقاً، وقد وعدت أنت نفسك أن تلاحظه.

أولمرز: نعم، وعدت (بصوت خافت) ولكنك أتيت ـــــ أنت، أنت، أنت ـــــ وبدأت تغرينني لتجذبيني.

ريتا: (تنظر اليه في تحد) أوه، خير لك أن تعترف فوراً أنك نسيت الطفل، وكل شيء آخر.

أولمرز: (في يأس مكتوم) نعم، هذا حقيقي (في صوت أكثر خفوتا) لقد نسيت الطفل ـــــ بين ذراعيك!

ريتا: (في غيظ) ألفريد! لن أطيق هذا منك يا ألفريد!

أولمرز: (في صوت خافت وهو يهز قبضتي يديه أمام وجهها) في تلك الساعة حكمت على ايولف الصغير بالموت.

ريتا: (بشراسة) وأنت كذلك! أنت أيضاً ـــــ اذا كان الأمر كما تقول!

أولمرز: أوه، نعم ـــــ فلأتحمل أنا أيضاً المسئولية ـــــ اذا أردت. لقد أخطأنا كلانا، ومع كل ففي موت ايولف نوع من العقاب.

ريتا: العقاب؟

أولمرز: (يضبط زمام نفسه أكثر من ذي قبل) نعم، العقاب لك ولي، وقد نلنا ما نستحقه الآن ونحن وقوف هنا. لقد كنا نبتعد عنه وهو حي وضميرنا يحزنا سراً في ذلك، ولم نكن نستطيع تحمل رؤية ـــ ذلك الشيء الذي يجره معه ـــــ

ريتا: (تهمس) العكاز.

أولمرز: نعم العكاز ـــــ وهذا الذي يحز في قلبينا ونسميه حزنا وألما ـــــ أن هو إلا وخز الضمير ولا شيء غيره يا ريتا.

ريتا: (تحملق فيه في حيرة) يخيل اليّ أن هذه الحالة ستنتهي بنا الى اليأس ـــــ الى الجنـــــــــــــــون نحن الاثنين، فليس في استطاعتنا أبدا ـــــ أبدا، أن نصلح الأمور ثانية.

أولمرز: (يهدأ ثانيا) رأيت ايولف ليلة أمس في الحـــلم، أظنني رأيته آتيا من ناحية رصيف البحر، و كان يستطيع الجري كغيره من الأولاد، ومع ذلـــك لم يحدث له شيء ـــــ لم يحدث لـــه أي شيء، ولم تكن الحقيقة المؤلمة كما أظن، إلا حلمـــــا، أوه، كم شكرت و طلبت الرحمة ـــــ (يروع نفسه) هِمْ!

ريتا: (تنظر إليه) من؟

أولمرز: (في موارية) من ـــــ ؟

ريتا: نعم، من الذي شكرته و طلبت منه الرحمة؟

أولمرز: (يهمل السؤال) لم يكن إلا حلمـــا كمـــا تعلمين ـــــ

ريتا: شخصا لا تعتقد فيه أنت نفسك؟

أولمرز: ومع ذلك، مـــــــذا ما شعرت به، كنت نائما بالطبع ـــــ

ريتا: (مؤنبة) ليس لك أن تعلمني الشك يا ألفريد.

أولمرز: أيحق لي أن أتركك تعيشين في هذه الدنيـــــــــا والخرافات الكاذبة تملأ رأسك؟

ريتا: ذلك أفضل إذ أجد شيئا ألجأ إليه، أما الآن فإنني بكليتي في البحر.

أولمرز: (ينظر إليها مدققا) إذا كان لك أن تختاري الآن ـــــ إذا كان في إمكانك أن تتبعي ايولف إلى مـــــكانه ـــــــ؟

ريتا: نعم؟ ماذا إذن؟

أولمرز: إذا تأكدت تماما أنك ستجدينه ـــــ وستعرفينه ـــــ و ستفهمينه ـــــ ـــــ؟

ريتا: نعم، نعم، ماذا إذن؟

أولمرز: هل تقفزين إليه بمطلق حريتك؟ وتتركين كل شيء خلفك بمطلق حريتك؟ وتنبذين كل حياتك الأرضية؟ هل تفعلين يا ريتا؟

ريتا: (بنعومة) الآن في الحال؟ أولمرز: نعم، اليوم، مــذه الساعة بالذات، أجيبي ـــــ هل تفعلين؟

ريتا: (مترددة) أوه، لا أعرف يا ألفريد، كلا! أظنني أفضل البقاء معك هنا، مدة قصيرة.

أولمرز: من أجلي؟

ريتا: نعم لكن، من أجلك فقط.

أولمرز: ولكن بعد ذلك؟ هل تفعلين ـــــ ؟ أجيبي!

ريتا: أوه كيف يمكنني أن أجيب؟ لن أس_____تطيع الابتعاد عنك، أبدا! أبدا!

أولمرز: ولكن لنفرض أنني ذهبت الآن الى ايولف؟ وكنت واثقة من انك ستريننني هناك، أنا وهو، فهل تأتين إلينا اذ ذاك؟

ريتا: كم أود ذلك ـــــ كم أوده! من كل ق_____لبي! ولكن ـــــ

أولمرز: ماذا؟

ريتا: (تئن بنعومة) لا أستطيع – أحسن أني لا قدرة ل_ي ع_____لى ذلك، لا، لا، أبدا لن أس_تطيع! ولو كان ذلك ل_____كل مجد السماء!

أولمرز: ولا أنا.

ريتا: بلى، إنك تشعر بمثل شعوري، أليس كذلك يا ألفريد!؟ لن تستطيع أنت أيضا، أليس كذلك؟

أولمرز: نعم، أننا ـــــ نحن الكائنات الحية ـــــ نحس بأننا هنا في هذه الحي_____اة الأرضية و كأننا في موطننا.

ريتا: نعم، هنا نوع من السعادة التي نفهمها.

أولمرز: (في حزن) أوه، السعادة ـــــ السعادة ـــــ

ريتا: هل تعني أن السعادة ـــــ لا يمكن استرجاعها؟ (تنظر إليه متسائلة) ولكن إذا ـــــ ؟ (بقوة) لا، لا، لن أجرؤ على قول ذلك، لن أجرؤ حتى على التفكير فيه!

أولمرز: نعم، قوليه ـــــ قوليه يا ريتا.

ريتا: (مترددة) أليس في استطاعتنا أن نحاول ـــــ ؟ أليس من الممكن أن نحاول نسيانه؟

أولمرز: نيسان ايولف.

ريتا: أعني نسيان الألم ووخز الضمير.

أولمرز: أتجدين القدرة على أن تكون هذه رغبتك؟

ريتا: نعم ـــــ إذا كان ممكنا (في غضب) لانني ـــ لن أســـتطيع احتمـــــــــــال ذلك الى الأبد! أوه التفكير في أمر يساعدنا على النسيان؟!

أولمرز: (يهز رأسه) ماذا يمكن أن يكون ذلك الأمر؟

أولمرز: (يهز رأسه) ماذا يمكن أن يكون ذلك الأمر؟

ريتا: فلنجرب الرحيل ـــــ بعيدا عن هذا المكان.

أولمرز: بعيدا عن الوطن؟ مع ثقتك بأنك لا تكونين في حالة طبية إلا هنا.

ريتا: إذن لنجمع حولنا جماعات كبيرة من النـــــاس! لنفتح بيتنا للأصدقاء! لنغرق أنفسنا فيما يميت أفكارنا ويمحوها.

أولمرز: لن أستطيع أن أحيا مثل هذه الحياة ـــــ كلا ـــ خير من ذلك أن أحاول العودة إلى عملي.

ريتا: (تعض شفتيها)عملك ـــ عملك الذي حال بيني وبينك كالحائط الأصم!

أولمرز: (ببط وقد ثبت نظره عليها) منذ الآن يجب أن يحول بيننا حائط أصم.

ريتا: لماذا ـــــ ؟

أولمرز: أن عيني طفل مفتوحتين على اتساعهما ترقبانا كما تعلمين ليلا ونهارا.

ريتا: (بنعومة وهي ترتجف) ألفـــــــــريد ـــــ ما أفظع التفكير في ذلك!

أولمرز: كان حبنا كالنار المدمرة و يجب أن يطفأ الان ـــــ

ريتا: (تتحرك نحوه) يطفأ!

أولمرز: (بقسوة) لقد انطفأ ـــــ في قلب أحدنا.

ريتا: (وكأنها أصبحت حجرا) و تجرؤ على أن تخبرني بذلك!

أولمرز: (أكثر لطفا) لقد مات الحب يا ريتا، و يخيـــل إلى أن ما أشعر به الآن نـــحوك إنمـــا نـــوع مـــن البعث-

ريتا: (بشدة) لن أهتم أدنى اهتمام بأي بعث!

أولمرز: ريتا!

ريتا: انني مخلوقة تجري في عروقها دمـــــاء حارة! ولن أستطيع الحيـــاة جامدة ـــــ وفي عروقي دم السمك البارد (تعصر يديها) و الآن إذ أصبح سجينة مدى الحياة ـــــ في الألم و وخز الضمير! سجينة مع شخص لم يعد لي، لي، لي!

أولمرز: لا شك يا ريتا أن الأمر كان سينتهي بنا الى هذه النهاية يوما ما.

ريتا: ينتهي مـــــــكذا! الحب الذي اندفع في أول أمره ليلاقي حبـــا آخر!

أولمرز: لم يندفع حبي نحوك في أول الأمر.

ريتا: و كان شعورك نحوي في مبدأ الأمر؟

أولمرز: الخوف.

ريتا: هذا أمر يمـــكن فهمه، كيف إذن اســـتطعت اكتسابك على الرغم من ذلك؟

أولمرز: (في صوت خافت) كان جمالك ساحرا يا ريتا.

ريتا: (تتفحصه بنظراتها) أهو السبب الوحيد؟ تكلم يا ألفريد! السبب الوحيد؟

أولمرز: (يتغلب على نفسه) كلا، كان هناك ســـبب آخر.

ريتا: (في غضب) أنا أعرف هذا السبب! إنه "ذهبي وغاباتي الخضراء" كما تدعوه، أليس كذلك يا ألفريد؟

أولمرز: نعم.

ريتا: (تنظر إليه في تأنيب عميق) كيـــــف اســـتطعت ـــــــ كيف استطعت ـــــــ !

أولمرز: كنت مضطرا الى التفكير في آستا.

ريتا: (في غضب) نعم، آستا! (بمرارة) إذن آستا هي التي جمعتنا نحن الاثنين؟

أولمرز: إنها لم تعلم عن ذلك شيئا، و لم يتطرق الى ذهنها أقل شك فيه حتى اليوم.

ريتا: (ترفض هذه الدعوى) و مع ذلك فقد كانت آستا! (تبتسم وهي تنظر إليه نظرة احتقـــار طويلة من طرف عينيها) أو، لا ـــــــ إنه ايولف الصغير، ايولف الصغير يا عزيزي!

أولمرز: ايولف ـــــ؟

ريتا: نعم، فقد اعتدت أن تناديها باسم ايولف، أليس كذلك؟ يخيل إلى أنك أخبرتني بذلك ـــــ مرة، في لحظة من لحظات الثقة (تذهب إليه) أتتذكر يا ألفريد ـــــــ تلك اللحظة الجميلة الساحرة؟

أولمرز: (يتراجع كالخائف) أنا لا أتذكر شـــــــــــــــيئا! ولن أتذكر!

ريتا: (تتبعه) كان ذلك في تلك الساعة– التي أصبح فيها ايولف الصغير كسبحا الى الأبد!

أولمرز: (في صوت فارغ وهي يتحامل على المنضدة) العقاب!

ريتا: (متوعدة) نعم، العقاب!

(تعود آستا و بورغيم من طريق الكوخ البحري، آستا تحمل في يدها بعض أزهار الزنبق المائي)

ريتا: (تملك ذمام نفسها) هيه يا آستا؟ هل انتهيتما من الحديث في كل الأمور أنت والمستر بورغيم؟

آستا: أوه، نعم ـــــ انتهينا تماما.

(تضع مظلتها و الزهور على الكرسي)

بورغيم: كانت مس اولمرز صـــامتة صمتا تاما أثنـــــاء نزهتنا.

ريتا: حقا؟ حسن، لقد تحادثنا ألفريد و أنا. وانتهينا من كل شيء تماما ـــــ

آستا: (تنظر إليها في قلق) ماذا تعنين ـــــ ؟

ريتا: أعني أننا تحدثنا بما يكفينا بقية عمرنا (تنهي حديثها) هيا الآن، ولنعد جميعنا الى البيت، نحن الأربعة، إذ يجب أن نكون دائما بين الأصدقاء لأنه لا فائدة من انفردنا أنا و ألفريد.

أولمرز: نعم، اذهبا أنتما (يلتفت) لي كلمة معك قـبل ذهابنا يا آستا.

ريتا: (تنظر إليه) حقا؟ حسن إذن، ســـــــتأتي معي يا مستر بورغيم.

(تذهب ريتا وبورغيم من طريق الغابة).

آستا: (بقلق) ماذا حدث يا ألفريد؟

أولمرز: (في أبهام) لا شي إلا أن بقائي هنا أصبح غير محتمل.

آستا: هنا! أتعني مع ريتا؟

أولمرز: نعم، أنا و ريتا لن نستطيع الحياة معا.

آستا: (تقبض على ذراعه و تهزها) أوه ألفريد ـــــ لا تقل مثل هذا الكلام المخيف!

أولمرز: ما أخبرتك به هو الحقيقة، فإن وجود أحدنا مع الآخر يجعل منه مخلوقا شريرا ملؤه البغض!

آستا: (في ألم) مطلقا ـــــ لم أحلم بشيء كهذا قط!

أولمرز: أنا أيضا لم أتحقق من هذا إلا اليوم.

آستا: وتريد الآن ـــــ ! ما مرادك بالضبط يا ألفريد؟

أولمرز: أريد أن أبتعد عن كل شيء هنا ـــــ بعيدا، بعيدا جدا عن كل شيء

آستا: وتقف وحيدا في هذا العالم؟

أولمرز: (يحني رأسه) كما اعتدت من قبل، نعم.

آستا: ولكنك لا تصلح الآن لحياة الواحدة!

أولمرز: أوه بلى، على أي حال، لقد كنت كذلك في أيامي الخوالي.

آستا: أيامك الخوالي، نعم، كنت إذ ذاك تعيش معي

أولمرز: (يحاول أن يمسك يدها) نعم، لأجلك أنت يا آستا أريد أن أعود إلى منزلي.

آستا: (تتخلص منه) من أجلي! لا، لا، يا ألفريد! مستحيل.

أولمرز: (ينظر إليها بحزن) إذن فبورغيم يقف بيننا؟

آستا: (جادة) لا، لا، إنه لا يفصل بيننا! هذا خطأ كبير!

أولمرز: حسن، سأعود إليك إذن ـــــ يا عزيزتي، يا أختي العزيزة، يجب أن أعود إليك ـــــ أعود إلي ـــــ ك لأتطهر و تسمو روحي بعد أن عشت مع ـــــ

آستا: (مصدومة) ألفريد ـــــ إنك تخطئ خطأ كبيرا في حق ريتا!

أولمرز: لقد أخطأت خطأ كبيرا معها، و لكن ليس في هذا الأمر، أوه، تصـــوري يا آستا ـــــ فـــــكري في حياتنا سويا، أنت و أنا، ألم تـــكن حيـــاتنـــا كلها، كيوم عطلة طويل؟

آستا: نعم يا ألفريد، وهكذا كانت، ولكنا لن نستطيع أن نسترجعها.

أولمرز: (بمرارة) أتعنين أن الزواج قد دمرني تدميرا تاما؟

آستا: (بهدوء) لا، ليس هذا ما أعنيه.

أولمرز: حسن، سنحيا إذن مرة أخرى حياتنا القديمة، نحن الاثنين.

آستا: (تتمتم) لن نستطيع يا ألفريد.

أولمرز: بل نستطيع، فالحب المتبادل بين أخ و أخته –

آستا: (بقلق) ماذا به؟

أولمرز: هو العلاقة الوخيدة في هذه الحياة التي لا تخضع لقانون التغير.

آستا: (بنعومة وهي ترجف) و إذا لم تـــكن مـــــذه العلاقة ـــــ

أولمرز: إذا لم تكن ـــــ ؟

آستا: إذا لم تكن علاقتنا؟

أولمرز: (يحملق فيها بدهشة) ليست علاقتنا؟ كيف؟ ماذا تعنين؟

آستا: من الخير أن أخبرك بالأمر على الفور يا ألفريد.

أولمرز: نعم، نعم، تكلمي!

آستا: خطابات أمي ـــــ الموجودة في حقيبتي ـــــ

أولمرز: مابها؟

آستا: يجب أن تقرأها ـــــ عندما أذهب.

أولمرز: ولماذا يجب علي ذلك؟

آستا: (في عراك نفساني) لأنك إذ ذاك ستعرف أن ـــــ

أولمرز: ماذا؟

آستا: ـــــ أنه لا حق لي في حمل اسم أبيك.

أولمرز: (يتمايل الى الخلف) آستا ماذا تقولين!

آستا: اقرأ الخطابات، وعندئذ سترى ـــــ و تفهم، وربما تشعر بقليل من الغفران ـــــ لأمي أيضا.

أولمرز: (يضرب على جبهته) لن أستطيع تصديق ذلك ـــــ لا يمكنني أن أغفل مـــــــــذه الفكرة، أنـــــت يا آستا ـــــ أنت لست ـــــ

آستا: اخي يا ألفريد.

أولمرز: (بسرعة في شبهه تحد و هو ينظر إليها) ليكن، ولكن ماذا يغير ذلك من علاقتنا؟ لا شيء في الواقع.

آستا: (تهز رأسها) بل تقلب علاقتنا رأسا على عقب فليست علاقتنا الآن يا ألفريد علاقة أخ و أختـــه.

أولمرز: لا، لا، ولكن لن يجعلها ذلك أقل تقديسا ـــــ ستظل دائما مقدسة كعلاقة الأخوين.

آستا: لا تنسى ـــــ أنها كما قلت منذ لحظة عرضـــــــة لقانون التغير.

أولمرز: (ينظر إليها متسائلا) أتعنين ـــــــــ

آستا: (في هدوء ولكن بانفعال شديد) ولا كلمة أخرى ـــــ يا عزيزي، يا عزيزي ألفريد (تأخذ الزهور من فوق الكرسي) أترى هذه الزنبقات المائية؟

أولمرز: (يحني رأسه في بطء) إنها من النوع الـــذي يرتفع ـــــ من الأعماق.

آستا: لقد أخذتها من النبع الصغير ـــــــ حيث تندفع نحو الفيورد (تقدمها له) هل تأخذها يا ألفريد؟

أولمرز: (يأخذها) شكرا.

آستا: (وقد غامت الدموع في عينيها) إنها تحية أخيرة لك من ايولف الصغير.

أولمرز: (ينظر إليها) من ايولف الغائب هناك؟ ام منك؟

آستا: منا كلينا (تأخذ مظلتها) والآن، تعال معي الى ريتـــا.

(تسير في طريق الغابة).

أولمرز: (يأخذ قبعته من فوق المنضدة ثم يهمس في حزن) آستا، ايولف، ايولف الصغير ـــــــ !

(يتبعها في الطريق)

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر:

مرتفع في حديقة أولمرز تغطيه الأشجار، في خلف صخرة عموديها حول حافتها سور (درابزين) ينزل منها بدرجات في الناحية اليسرى، ويبدو منها الفيورد المنخفض متسعا، بالقرب من السور سارية ليس بها علم ولكن فيها كل ما يلزم لرفع العلم من الحبال وغيرها، في المقدمة من ناحية اليمين منزل صيفي تغطيه النباتات المتسلقة و الكرمات البرية، وأمامه مقعد مستطيل. الوقت: لية في أواخر الصيف، السماء صافية، و ألوان الغسق عميقة. آستا جالسة على المقعد و يداها في حجرها وهي بملابس الخروج وعلى رأسها قبعتها و إلى جانبها مظلتها الصغيرة وقد علقت في كتفها حقيبة سفر خفيفة ذات سيور.

يأتي بورغيم من الخلف من ناحية اليسار و قدر علق هو أيضا حقيبة سفر بكتفه وحمل في يده علما مطويا.

بورغيم: (يلحظ آستا) أوه، إذن فأنت هنا؟

آستا: نعم، أشاهد الفيورد للمرة الأخيرة.

بورغيم: نعم، كنت أبحث عنك، أردت أن أودعك ـــــ إلى أن نلتقي، وأرجو ألا يكون وداعا إلى الأبد.

آستا: (تبتسم في ضعف) يا لك من مثابر.

بورغيم: مـــــكذا يجب أن يكون مهندس الطرق.

آستا: هل رأيت ألفريد أو ريتا؟

بورغيم: نعم، رأيتهما.

آستا: معا؟

بورغيم: كلا ـــــ بل منفردين.

آستا: ماذا ستفعل بهذا العلم؟

بورغيم: طلبت مني مستر أولمرز أن أصعد و أثبته.

آستا: تثبت العلم الآن؟

بورغيم: نعم، سأنكسه على السارية، فهي تريد أن يخفق ليلا نهارا، هذا ما قالته.

آستا: (تنتهد) مسكينة يا ريتا! ومسكين يا ألفريد!

بورغيم: (وهو مشغول برفع العلم) أطاوعك قلبك على أن تفارقيهما. ما دعاني إلى هذا السؤال إلا أني رأيتك في ثياب السفر.

آستا: (في صوت خافت) يجب أن أذهب.

بورغيم: حين، إذا كان هذا واجبا عليك إذن ـــــــ

آستا: أأنت أيضا مسافر الليلة؟

بورغيم: يجب أن أسافر أنا أيضا، سأستقل القطار فهل ستسافرين بالقطار أنت أيضا؟

آستا: كلا، بل بالباخرة.

بورغيم: (يرنو إليها) إذن فسيأخذ كل منا طريقة؟

آستا: نعم.

(تجلس وهي تلاحظه وهو يثبت العلم في منتصف السارية، وعندما ينتهي يذهب إليها).

بورغيم: مس آستا ـــــــ لن تستطيعي تصور مبلغ حزني على ايولف الصغير.

آستا: (تنظر إليه) نعم، إني على ثقة من أنك تحس بالكارثة احساسا عميقا.

بورغيم: وهذا الإحساس يعذبني، فأنا لا أستطيع تحمل الأحزان.

آستا: (ترفع عينيها نحو العلم) ستزول مع الوقت – وكل أحزاننا، كلها.

بورغيم: كلها؟ أتعتقدين ذلك؟

آستا: نعم، كهبة قوية فوق البحر، عندما تبتعد كثيرا عن هذا المكان، إذ ذاك ـــــــ

بورغيم: سيكون ذلك حقا جد بعيد.

آستا: وسيكون لديك أيضا العمل الكبير في الطريق الجديد.

بورغيم: ولكن لن يكون بجانبي أحد يساعدني عـــــلى إنجازه.

آستا: أوه، لا لديك ولا ريب.

بورغيم: (يهز رأسه) لا أحد، لا أحد يشاركني سروري به، فالسرور هو الذي يحتاج إلى مشاركه.

آستا: ليس العمل والتعب؟

بورغيم: ياه ـــــ هذا النوع من الأشياء يستطيع الإنسان أن ينفرد به.

آستا: ولكن السرور في ظنـــك ـــــ يجب أن يقتسمه الإنسان مع غيره؟

بورغيم: نعم، اذ كيف يكون السرور بالفرح إذا لم يوجد الشريك؟

آستا: آه، نعم ـــــ ربما كان في ذلك بعض الصحة.

بورغيم: أوه، بالطبع، فالإنسان يستطيع أن يملأ قلبه بالسرور وقتـــــا ما، ولكـــن ذلك لا يفـــيد في السرور المفـــــــــــــــــــــــرط، فهذا يحتاج الى اثنين يقتسمانه.

آستا: دائما اثنان؟ لا أكثر. لا أكثر من اثنين؟

بورغيم: حسن إذ ذلك ـــــ يختلف الأمر، مس آستا- أواثقة أنت من أنك لن تفكري يوما في أن تقاسمي السرور والنجاح و ـــــ والعمل والتعب شخصا ـــــ شخصا وحيدا في هذا العالم؟

آستا: قد جربت ذلك ـــــ مرة.

بورغيم: هل جربته؟

آستا: نعم، طوال الوقت الذي جمعنا أنا و أخي ـــــ ألفريد، ووعشنا فيه سويا.

بورغيم: أوه، مع أخيك، نـــــــعم، ولـــكنه أمر مختلف تماما، إذ يمكن أن نطلق عليه لفظ الســـــــــــــلام لا السعادة، إن صح ذلك.

آستا: إنه سرور على أية حال.

بورغيم: أرأيت الآن ـــــ إنك ترين أنه حتى مـــــذا فيه سرور، ولـــــكن تصوري الآن ـــــ لو لم يـــــكن أخاك!

آستا: (تتحرك لتنهض ولكن تظل جالسة) إذن كان لا يمكن أن نجتمع سويا فقد كنت إذ ذلك طفلة ـــــ ولم يكن يكبرني كثيرا.

بورغيم: (بعد فترة صمت) أكان سرورك كبيرا ـــــ في ذلك الوقت؟

آستا: أوه، نعم، بالطبع كنت مسرورة.

بورغيم: أكانت حياتك إذن مليئة بالسعادة و السرور الصافي؟

آستا: أوه، نعم، سرور كثير جدا، لن تستطيع تصور كثرته.

بورغيم: حدثيني قليلا عن ذلك يا مس آستا.

آستا: ليش في حياتي إلا التوافه لاحدثك عنها.

بورغيم: مثل ـــــ ؟ حسن؟

آستا: كذلك الوقت حين اجاز ألفريد الامتحان – ونجح بامتياز، وبعد ذلك بين وقت و آخر حينما كان يعين في مدرسة أو أخرى، أو عندما كان يجلس في المنزل يكتب المقالة ـــ ثم يقرأها لي بصوت مرتفع، وبعد ذلك عندما كانت تظهر في إحدى الصحف، لو قدر لها الظهور.

بورغيم: نعم، من الممكن أن تتصور أنها كانت حيـــــاة سلام ملؤها السرور ـــ أخ و أخته يتقاسمان كل أفراحهما (يهز رأسه) ولكني لست أتصور يا آستا كيف يتركك أخوك.

آستا: (في انفعال مكتوم) قد تزوج ألفريد كما تعلم.

بورغيم: ألم يكن في ذلك بعض القسوة عليك؟

آستا: نعم، في أول الأمر، خيل إلي أنني فقدته الى الأبد.

بورغيم: من حسن الحظ أن الأمر لم يكن سيئا كما تصورته.

آستا: نعم.

بورغيم: ولكن على الرغم من هذا ـــــ كيف استطاع! أن يتركك و يتزوج، أعني ـــــ في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يحتفظ بك لنفسه دون شريك.

آستا: (تنظر أمامها في خط مستقيم) أظنه كان عرضة لقانون التغير.

بورغيم: قانون التغير؟

آستا: هكـــذا يسميه ألفريد.

بورغيم: بوه ـــــ ما أكبر خرق هذا القانون! أبدا لن أعتقد فيه.

آستا: (تنهض) ستعتقد فيه مع مرور الوقت.

بورغيم: لن أعتقد فيه طول حياتي! (ملحا) ولكن اسمعي الآن يا مس آستا كوني عاقلة ـــــ مرة واحدة ـــ أعني في هذا الأمر ـــــ

آستا: (تقاطعه) أوه، لا، لا ـــــ لا تدعنا نبدأ هذا الحديث من جديد!

بورغيم: (مستمرا في حديثه) لا يا آستا – لن أستطيع تركك بمثل هذه السهولة، فأخوك الآن عنـــده كل ما يشتهيه ويستطيع أن يحيا بدونك في راحة تامة، فهو لن يحتاج إليك أبدا، ثم جـــا

ذلــك ـــــ ذلك ـــــ ذلك الذي غير مركزك هنا بضــربة واحدة.

آستا: (تجفل) ماذا تعني بذلك؟

بورغيم: موت الطفل، ماذا عنيت غيره؟

آستا: (تستعيد ثباتها) مات ايولف، نعم.

بورغيم: فما يبقيك الآن هنا؟ ليس الطفل موجودا لتعتني به، وليست عليك أية واجبات ـــــ أو مطالبات من أي نوع.

آستا: أوه، أرجوك يا مستر بورغيم ـــــ لا تدعني أحس هكذا بقسوة الأمر.

بورغيم: يجب أن أفعل ذلك، سأجن إن لم أبذل كــل جهد ممكن فأنا سأترك هذه المدينة بعد قليل وقت، وربما لا تسنح الفرصة الي أراك فيها، ربما لا أستطيع رؤيتك إلا بعد وقت طويل، طويل، ومن يدري ماذا يحدث خلال مـــذه الفترة؟

آستا: (تبتسم في حزن) إذن فكل ما تخاف منه هو قانون التغير؟

بورغيم: لا مطلقا (يضحك في مرارة) ومن جهة أخرى، لا يوجد شي ليتغير ـــــ أعني ليس عندك ما يتغير فمن الممكن ملاحظة قلة اهتمامك بي.

آستا: إنك متأكد من اهتمامي بك.

بورغيم: ربما، ولكن ليس بالقدر الكافي، ليس كما أريد منك (بقوة أكبر) يا للسماء يا آستا ـــــ يا مس آستا ـــــ لن أستطيع أن أصور لك مبلغ قوة شعوري بخطئك في هذا الآمر! ربما بعد وقت طويل، بعد اليوم والغد، ربما تكون كل سعادة الدنيا في انتظارنا، ولكننا مجبران عــلى تركها! أتظنيننا لن نندم على ذلك يا آستا؟

آستا: (بهدو) لا أعرف، كل الذي أعرفه أنها ليست لنا ـــــ كل هذه الفرص البراقة.

بورغيم: (ينظر إليها وقد ملك زمام نفسه) إذن يجب أن أخطط طرقي وحدي؟

آستا: (بحرارة) أوه، كم أتمنى أن أقف إلى جانبك في كل هذا! أن أساعدك في عملك ـــــ وأقاسمك السرور ـــــ

بورغيم: أتفعلين ـــــ إن استطعت؟

آستا: نعم أفعل.

بورغيم: ولكنك لا تستطيعين؟

آستا: (تنظر إلى الأرض) أيرضيك أن تنال نصفي فقط؟

بورغيم: لا، يجب أن تكوني بكليتك لي.

آستا: (تنظر إليه و تقول في هدوء) إذن لن أستطيع.

بورغيم: الوداع إذن يا مس آستا.

(في اللحظة التي يهم فيها بالذهاب يدخل أولمرز من الخلف من الناحية اليسرى فيتوقف بورغيم).

أولمرز: (عندما يصعد آخر الدرجات يشير وهو يتكلم بصوت خافت) مـــل ريتـــأ هنا ـــــ في المنزل الصيفي؟

بورغيم: لا، ليس هنا إلا مس آستا.

(يتقدم أولمرز).

آستا: (تذهب نحوه) أأنزل لأبحث عنهـــا؟ و هل أحضرها هنا؟

أولمرز: (بإشارة نفى) لا، لا، لا ـــــ دعيها وحدها (لبورغيم) أهو أنت الذي ثبت العلم؟

بورغيم: نعم طلبت مني مسز أولمرز ذلك، وهذا ما جاء بي إلى هنا.

أولمرز: أمسافر الليلة؟

بورغيم: نعم، سأذهب الليلة بعيدا بعزم قوي.

أولمرز: (ينظر إلى آستا) أأستطيع أن أقول إنك وجدت رفقة تسرك؟

بورغيم: (يهز رأسه) سأذهب وحيدا.

أولمرز: (بدهشة) وحيدا!

بورغيم: وحيدا وحدة تامة.

أولمرز: (كالغائب) حقا؟

بورغيم: وسأظل أيضا وحيدا.

أولمرز: ما أشد خوف الإنسان من البقاء وحيدا، مجرد التفكير في ذلك يجعلني أحس و كأن الثـــــــــل ـج يسير في دمائي ـــــ آستا: أوه، ولكنك لست وحيدا يا ألفريد.

أولمرز: وفي ذلك ما يخيف يا آستا.

آستا: (في ضيق) أوه، كف عن هذا الكلام! كف عن هذا التفكير!

أولمرز: (يستمع إليها) لكن، بما أنك لن تذهبي معه ـــــ بما أنه ليس هناك ما يربط ـــــ

لماذا لا تبقين هنا معي ـــــــ ومع ريتا؟

آستا: (في قلق) لا، لا، لن أستطيع، يجب أن أعود الآن إلى المدينة.

أولمرز: ولكن ليس أبعد من المدينة يا آستا، أتسمعين؟

آستا: نعم.

أولمرز: ويجب أن تعديني بسرعة عودتك لزيارتي.

آستا: (بهدوء) لا، لا،لا أستطيع الوعد بذلك، في الوقت الحاضر.

أولمرز: حسن ـــــــ كما تريدين، سنلتقي إذن في المدينة بعد قليل.

آستا: (متوسلة) ولكن يجب أن تبقى الآن هنا مـــــع ريتـــــــا.

أولمرز: (يجيبها – يلتفت إلى بورغيم) و مع ذلـــك فإنك ستجد أنه خير لك أن ترحل منفردا.

بورغيم: (مغضبا) أوه كيف تقول مثل هذا الكلام؟

أولمرز: فانك لن تستطيع أن تتنبأ بمن ستلاقيه بعد ذلك ـــــــــــ في طريقك.

آستا: (دون ارادة) ألفريد!

أولمرز: رفيق الطريق الحقيقي ـــــــــ يظهر بعد فوات الوقت ـــــــــ بعد فوات الوقت.

آستا: (بنعومة وهي ترتعش) ألفريد! ألفريد!

بورغيم: (ينقل نظره بينهما) ما معنى هذا؟ فاني لا أفهم ـــــــــــ

(تظهر ريتا في الخلف من الناحية اليسرى)

ريتا: (في شكوى وحنين) أوه، لا تفروا مني، كلكم!

آستا: (تذهب اليها) قلت انك تفضلين الوحدة.

ريتا: نعم، ولكني لا أجسر، فالظلام الذي يكتنفني يزداد حلوكة ويخيل اليّ أنني أرى عيونا واسعة مفتوحة مثبتة عليّ!

آستا: (بحنان وعطف) وماذا في ذلك يا ريتا؟ يجب ألا تخافي من هذه الأعين.

ريتا: كيف تقولين ذلك؟! لا أخاف!

أولمرز: (في اصرار) أرجوك يا آستا ـــــــ بحق السماء ـــــــ ابقى هنا مع ريتا!

ريتا: نعم! ومع ألفريد أيضاً، ابقي! ابقي يا آستا!

آستا: (في صراع مع نفسها) أوه، كم أود ذلك من كل قلبي ـــــــــ

ريتا: حسن اذن، افعلي ذلك! فلن نستطيع، ألفريد وأنا، أن نعيش وحيدين، بين كل هذه الأحزان وآلام قلبينا.

أولمرز: (في ابهام) قولي بالحرى ـــــ في جحيم من وخز الضمير.

ريتا: أوه، كما تسميها ـــــــ لن نستطيع تحملها وحدنا نحن الاثنين، اوه يا آستا، أرجوك، أتوسل اليك! ابقي هنا وساعدينا! خذي مكان ايولف بيننا ـــــــ

آستا: (تتراجع) مكان ايولف ـــــــ

ريتا: نعم، ألا تريد ذلك يا ألفريد؟

أولمرز: اذا استطاعت وأرادت.

ريتا: لقد اعتدت أن تسميها اولف الصغير (تقبض على يدها) ومنذ الآن يا آستا ستصبحين ابننا ايولف! ايولف كما كنت قبلاً.

أولمرز: (في انفعال خفي) ابقي ـــــ واقتسمي حياتنا معنا يا آستا، مع ريتا، ومعي، معي ـــــ أنا أخوك!

آستا: (في اقرار وهي تجذب يدها بعيداً) لا،لا أستطيع (تلتفت) مستر بورغيم ـــــــــ متى تسير الباخرة؟

بورغيم: الآن ـــــــ حالاً.

آستا: عليّ اذن أن أذهب الى السفينة على الفور، أتذهب معي؟

بورغيم: (في ثورة فرح مكتوم) هل أذهب؟ نعم، نعم!

آستا: هيا اذن!

ريتا: (ببطء) آه، هذا اذن الأمر، حسن، اذن فلن تستطيعي البقاء معنا.

آستا: (تطوق عنقها بذراعيها) شكراً لكل شيء يا ريتا! (تذهب الى اولمرز وتقبض على يديه) ألفريد ـــــ الوداع! الوداع ألف مرة!

أولمرز: (بنعومة وقلق) ما هذا يا آستا؟ يخيل اليّ أنك تفرين.

آستا: (في آلم مغالب) نعم يا ألفريد ـــــ أنني أفر.

أولمرز: تفرين ـــــــــ مني؟

آيولف: (تهمس) منك ـــــــ ومن نفسي أيضاً.

أولمرز: (يتراجع في خوف) آه ـــــــ!

(تندفع آستا نحو الدرجات الخلفية ويهز بورغيم قبعته ثم يتبعها، تنحني ريتا أما مدخل الكوخ الصيفي بينما يذهب أولمرز بدافع داخلي قوي الى سور الصخرة حيث يقف محملقاً الى أسفل، فترة صمت).

أولمرز: (يلتفت ويقول في هدوء اكتسبه بصعوبة) هاقد وصلت الباخرة، انظري يا ريتا.

ريتا: لا أجرؤ على النظر اليها.

أولمرز: لا تجرؤين؟

ريتا: نعم، فان لها عيناً حمراء ـــــ وأخرى خضراء، عيونا متسعة متوهجة.

أولمرز: أوه، انك تعلمين أنها ليست الا الأنوار.

ريتا: انها منذ الآن ليست الا عيونا ـــــــ في نظري،انها تحملق وتحملق من خلال الظلام ـــــــ وفي الظلام.

أولمرز: قدر رست الآن، على الشاطئ.

ريتا: في أي مكان رست السفينة الليلة؟

أولمرز: (يتقدم إلى الأمام) عند الرصيف كالعادة ـــــ

ريتا: (تنهض) كيف يرسلونها إلى هذا المكان!

أولمرز: إنهم مجبرون على ذلك.

ريتا: ولكن مـــــــــــــذا المكان حيث ايولف ـــــ كيف يرسونها هناك!

أولمرز: نعم الحياة قاسية يا ريتا!

ريتا: ما أقســى قلوب الرجال ـــــ إنهم لا يهتمون ـــــ لا بالأحياء ولا بالأموات.

أولمرز: إنت على حق في ذلك، فالدنيا تسير في طريقهاـــــ وكأن لم يحدث فيها شيء.

ريتا: (تحملق في الفضاء أمامها) و كذلك لم يحدث شيء، لم يحدث شيء للآخرين. وإنما حــدث لنا نحن الاثنين فقط.

أولمرز: (يعاوده الأم) نعم يا ريتــا ـــــ ومـــــــكذا لم يكن هناك أي هدف لحملك إياه بين الحزن والأم، فقد ذهب الآن ثانية ـــــ ولم يترك وراءه أقل أثر.

ريتا: لم ينقذو غير العكاز.

أولمرز: (بغضب) اصمتي! لا أريد سماع هذه الـــــكلمة!

ريتا: (في شكوى وحنين) أوه، لن أستطيع احتمال فكرة ضياعه من أيدينا.

أولمرز: (ببرودة ومرارة) كنت تستطيعين الحياة بدونه وهو حي بيننا، ولربما مر نص اليوم دون أن تلقى عليه نظرة.

ريتا: نعم، كنت أعلم أني أستطيع رؤيته وقتما أريد.

أولمرز: نعم، هكذا بذرنا وأسرفنا في الوقت القصير الذي نلناه من ايولف الصغير.

ريتا: (تتسمع في خوف) أتسمع يا ألفريد! الرنين مرة أخرى!

أولمرز: (ينظر إلى الفيورد) إنه جرس السفينة الذي يديق، فإنها ستبحر الآن.

ريتا: لست أقصد هذا الجرس، و لكني أسمع رنينا في أذنى طول اليوم ـــــ ها هو يرن مرة أخرى!

أولمرز: (يذهب إليها) إنك مخطئة يا ريتا.

ريتا: كلا، فإني أسمعه بوضوح، و كأنه صـــــوت أجراس الكنيسة عندما تدق حداد على موت أحد، بطيئة، بطيئة. ودائما نفس الكلمات.

أولمرز: الكلمات؟ أي كلمات؟

ريتا: (تحني رأسها مع النغمة) "العكاز ـــــ طاف"ـــ"العكاز ـــــ طاف"، أوه، لا شك أنك أنت أيضا تسمعها.

أولمرز: أنا لا أسمع شيئا ـــــ فليس هناك ما أسمعه.

ريتا: أوه، قل ما تشاء ـــــ ولكني أسمع ذلك بوضوح.

أولمرز: (ينظر الى الخارج من فوق السور) ريتا، أنهما على سطح السفينة الآن، والسفينة في طريقها إلى المدينة.

ريتا: كيف لا تسمح ذلك؟ أهذا ممكن؟ "العكاز ـــــ طاف" ـــــ "العكاز ـــــــــ"

أولمرز: (يتقدم) لن تقفي هنا لتسمعي صوتا لا وجود له وأنا أخبرك أن آستا وبورغيم على سـطح السفينة التي أبحرت الآن، لقد ذهبت آسـتا.

ريتا: (تنظر إليه بجبن) أظنك إذن ذاهبا أنت أيضا يا ألفريد، في القريب العاجل.

أولمرز: (بسرعة) ماذا تعنين بذلك؟

ريتا: ستذهب أثر أختك.

أولمرز: هل أخبرتك آستا بأي شيء؟

ريتا: كلا، و لكنك أنت نفسك أخبرتني أنه من أجل آستا ـــــ كان اجتماعيا سويا.

أولمرز: نعم، ولكن أنت، أنت نفسك، وقدر ربطتني بك ـــــ بتلك الحياة التي عشناها سويا.

ريتا: أوه، لم أعد في نظرك ـــــ لم أعد ـــــ ساحرة الجمال بعد.

أولمرز: ربما يجمعنا الآن قانون التغير، ولا شيء غيره.

ريتا: (تحني رأسها في بطء) أحس الآن تغيرا في نفسي ـــــ وأحس ألمه.

أولمرز: ألمه؟

ريتا: نعم، فالتغير نوع من الولادة.

أولمرز: أهو كذلك ـــــ أم بعث، تحول إلى حياة أرفع؟

ريتا: (تحملق أمامها في حزن) نعم ـــــ وخسرت معها كل سعادة في الحياة.

أولمرز: هذه الخسارة هي الربح بعينه.

ريتا: (بشدة) أوه، كلمات! يا إلهي، ولكنا لسنا رغم كل شيء سوى مخلوقات أرضية.

أولمرز: ولكننا نرتبط أيضا برباط القرابة بالبحر والسماء يا ريتا.

ريتا: ربما أنت، ولكن لست أنا.

أولمرز: أوه، نعم ـــــ و أنت أيضا، أكثر مما يبلغ إليه تصورك.

ريتا: (تتقدم منه خطوة) خبرني يا ألفريد ـــ أتستطيع التفكير ففي العودة إلى عملك؟

أولمرز: العمل الذي كنت تبغضينه؟

ريتا: ما أسهل جلب السرور إلي الآن؟ وإني لعلى استعداد لمقاسمتك العمل في الكتاب.

أولمرز: لماذا؟

ريتا: لا لشيء إلا للاحتفاظ بك هنا ـــــ الاحتفاظ بك قريبا مني.

أولمرز: أوه، لن أستطيع مساعدتك يا ريتا إلا بالقليل.

ريتا: ولكن ربما استطعت أنا مساعدتك.

أولمرز: تعنين في كتابي؟

ريتا: لا، ولكن لتحيا حياتك.

أولمرز: (يهز رأسه) يخيل إلي أنه ليس لي حيـــــــــــاة لأحياها.

ريتا: إذن لاحتمل معك الحياة.

أولمرز: (في ابهام وهو يجنبها نظراته) أظن أنه خـير لكلينا أن نفترق.

ريتا: (تنظر إليه بعجب) وإلى أين تذهب اذن؟ ربما الى آستا رغم كل شيء؟

أولمرز: لا ـــــ لن أعود الى آستا أبد الدهر.

ريتا: إلى أين إذن؟

أولمرز: إلى أعلى، حيث الوحدة.

ريتا: إلى أعلى في الجبال؟ أهذا ما تعنيه؟

أولمرز: أجل.

ريتا: ولكن هذا يا ألفريد ليس إلا حلما! فلن تستطيع الحياة في الجبال هناك.

أولمرز: ومع ذلك أشعر بما يجذبني إليها.

ريتا: لماذا؟ خبرني!

أولمرز: اجلسي ـــــ وسأخبرك بأمر.

ريتا: أمر حدث لك هناك، في الجبال؟

أولمرز: نعم.

ريتا: أوه، إنك دائم الصمت في كل شيء، يجب ألا تكون كذلك.

أولمرز: اجلسي هنا ـــــ وسأخبرك.

ريتا: نعم، نعم ـــــ خبرني!

(تجلس على المقعد المجاور للمنزل الصيفي).

أولمرز: كنت وحيدا وهناك، في الجبال، في قلب الجبال الهائلة، ووصلت أثناء طوافي إلى بحيرة جبلية واسعة موحشة، وكان علي أن أعبرها، ولكـــن ذلك لم يكن مستطاعا ـــــــ إذ لم يكــن لدي قارب، وليس من أحد يساعدني.

ريتا: حسن؟ وبعد؟

أولمرز: وعندئذ ذهبت دون دليل إلى واد جانبي ضيق ظنا مني أن في استطاعتي أن أتقدم عبر المرتفعات وبين القمم ـــــ ثم أهبط مرة أخرى في الجانب الآخر من البحيرة.

ريتا: أوه، وضللت الطريق يا ألفريد؟

أولمرز: نعم، أخطأت الاتجاه ـــــ لم يكن أمامي أي طريق أو أثر، فسرت طوال اليوم ـــــ وطوال الليلة التالية، حتى تأكدت أنني لن أرى وجه إنسان مرة أخرى.

ريتا: لا تعود إلينا؟ إذن فاني واثقة أن أفكارك كانت معنا هنا.

أولمرز: لا ـــــ لم تكن هنا.

ريتا: لم تكن هنا؟

أولمرز: نعم، كان الأمر غريبا حقا، إذ خيل إلي أنك أنت وايولف قد ابتعدتما عني، ابتعدتما بعدا شاسعا ـــــ وكذلك آستا.

ريتا: إذن ما لذي كنت تفكر فيه؟

أولمرز: لم أكن أفكر في شيء، بل كنت أجر نفسي بين المرتفعات الشاهقة ـــــ وقد أحاطتني لذة الراحة والعظمة التي في الموت.

ريتا: (تقفز واقفة) أوه، لا تحدثني بهذه اللهجة المرعبة!

أولمرز: لم أكن أحس بالرعب، ولم يتملكني الخوف، كان يخيل إلي أني أسير في هذا المكان جنبا الى جنب مع الموت وكأننا رفيقا سفر طيبا، كنت أرى كل شيء طبيعيا ـــــ بسيطا فليس يعمر الفرد في أسرتنا طويلا.

ريتا: أوه، لا تقل شيئا كهذا يا ألفريد! لقد نجوت على الرغم من ذلك كما ترى.

أولمرز: نعم فقد وجدت نفسي فجأة حيث أريد ـــــ على الضفة الثانية للبحيرة.

ريتا: لا شك أنها كانت ليلة فزع لك يا ألفريد، و أظنك لن تعرض نفسك لمثلها بعد أن انتهيت.

أولمرز: في هذه الليلة اعتزمت أمرا، فعدت في الحال الى المنزل، الى ايولف.

ريتا: (بنعومة) عدت متأخرا جدا.

أولمرز: نعم، وعندما ـــــ جاء رفيق سفري وأخذه ـــــ أحست إذ ذاك بالرعب و الفزع منه، من كل مافيه، من ذلك الذي لا نستطيع أن نتملص منه على الرغم من كل شيء. إننا نحن الاثنين يا ريتا مربوطان إلى الارض.

ريتا: (تبرق عيناها فرحا) نعم، أنت أيضا، أليس كذلك؟! (تقترب منه) أوه، دعنا نحيا حياتنا سويا، قدر ما نستطيع أخذه من الزمن!

أولمرز: (يهز كفيه) نحيا حياتنا، نعم!و لا نجد نملأ به هذه الحياة، فالفراغ المطبق في كل مكان ـــــ حيثما أنظر.

ريتا: (في خوف) أوه ألفريد، إنك ستتركني إن قريبا أو بعد حين! إني أحس ذلك! و أراه في وجهك! ستبتعد عني.

أولمرز: مع رفيق سفري، تعنين؟

ريتا: لا، أعني ما هو أسوأ من هذا، ستتركني بمحض إرادتك ـــــ لظنك أنك هنا فقط، معي، لا تجد ما تعيش من أجله، أليست هذه أفكارك؟

أولمرز: (ينظر إليها نظرة ثابتة) وماذا إذا كانت؟

(ضجة وأصوات صياح وشجار غاضبة تسمع من المنخفض البعيد ـــــ يذهب أولمرز الى السبور).

ريتا: ما هذا؟ (في غضب) أوه، إنهم وجدوه وسترى ذلك!

أولمرز: لن يجده أحد.

ريتا: ماهذا إذن؟

أولمرز: (يتقدم) لا شيء غير الشجار ـــــ كما هي العادة.

ريتا: هناك عند الشاطىء؟

أولمرز: نعم، هذه القرية التي تحتنا، يجب أن تمحى كلها، فقد عاد الرجال الآن إلى منازلهم ـــــ سكارى كما هي عادتهم، وأخذو يضربون الأطفال ـــــ ألا تسمعين صيحات الأطفال! وها هن النساء يصرخن طلبا للنجدة ـــــ

ريتا: ألا نرسل إليهم من يساعدهم؟

أولمرز: (في صوت أجش غاضب) نساعدهم، هولاء الذين لم يساعدو ايولف! دعيهم يذهبوا ـــــ كما تركوا ايولف يذهب.

ريتا: أوه، كف عن هذا الكلام يا ألفريد! لا تفك هذا التفكير!

أولمرز: لن أستطيع تحويل أفكاري عن ذلك، يجب أن نهدم هذه الأكواخ الموجودة هناك كلها.

ريتا: وماذا يحدث اذ ذاك لهؤلاء المساكين؟

أولمرز: ليذهبوا الى مكان آخر.

ريتا: والأطفال أيضاً؟

أولمرز: وهل يتغير من الأمر شيء لو أنهم صارو طعمة الكلاب؟

ريتا: (بهدوء وتأنيب) انك تجبر نفسك على هذه الخشونة يا ألفريد.

أولمرز: (بشدة) لي الحق الآن في هذه الخشونة! هذا واجبي.

ريتا: واجبك؟

أولمرز: واجبي نحو ايولف، يجب ألا يضيع دون انتقام للمرة الأخيرة يا ريتا ـــــــ ان الأمر كما أخبرتك فكري في ذلك! امحي كل ما في هذا المكان السفلي ـــــــ عندما أذهب.

ريتا: (تصب نظراتها عليه) عندما تذهب؟

أولمرز: نعم، فذلك على الأقل يعطيك شيئاً تملئين به حياتك ـــــــ شيئاً لا بد منه.

ريتا: (مقرة في عزم) أنت على حق في هذا ـــــــ يجب علي، ولكن أتعرف ماذا سأفعل ـــــــ عندما تذهب؟

أولمرز: حسن، ماذا؟

ريتا: (ببطء وعزم) في اللحظة التي تتركني فيها، سأذهب الى الشاطئ وأحضر جميع الأطفال الفقراء المهملين الى المنزل معي، كل الأطفال المزعجين ـــــــ

أولمرز: وما تفعلين بهم هنا؟

ريتا: سأحبهم.

أولمرز: أنت؟

ريتا: نعم، هذا ما سأفعله، في اليوم الذي تذهب فيه سيأتون هم الى هنا، جميعهم، وكأنهم أولادي.

أولمرز: (مصدوماً) في مكان طفلنا الصغير ايولف!

ريتا: نعم في مكان طفلنا الصغير ايولف، سيقيمون في حجرات ايولف، و سيقرأون كتبه، ويلعبون بلعبه، وسيجلسون على كرسيه أمام المائدة كل بدوره.

أولمرز: هذا منك جنون محض! فليس في العالم كله مخلوقة أعرفها أقل صلاحية منك لهذا النوع من العمل.

ريتا: اذن سأعلم نفسي كيف أفعله، سأمرن نفسي واهذبها.

أولمرز: اذا كانت حقاً جادة في هذا ـــــــ في كل ما قلته ـــــــ فقد حدث لك اذن تغيير ولا ريب.

ريتا: نعم، لقد حدث تغيير يا ألفريد ـــــــ واني لأشكرك أنت لهذا، لقد تركت في داخلي مكاناً فارغاً سأحاول أن أملأه بشيء ـــــــ شيء يشبه الحب بعض الشبه.

أولمرز: (يقف لحظة مفكراً ثم ينظر اليها) الحقيقية أننا لم نعمل شيئاً في سبيل الفقراء الذين تحتنا.

ريتا: لم نعمل في سبيلهم شيئاً.

أولمرز: وقليلاً ما فكرنا فيهم.

ريتا: لم نفكر فيهم بعطف قط.أولمرز: نحن الذين نملك "الذهب والغابات الخضراء".

ريتا: كانت أيدينا مقفلة في وجوههم، وكذلك قلوبنا.

أولمرز: (يحني رأسه) كان من الطبيعي اذن أنهم لم يخاطروا بحياتهم في سبيل انقاذ ايولف الصغير.

ريتا: (بنعومة) فكر يا ألفريد! أأنت واثق تمام الثقة أن ـــــ أننا كنا سنخاطر نحن بحياتنا؟

أولمرز: (يردعها بحركة ضيق) عليك ألا تشكي في ذلك أبدا.

ريتا: أوه، نحن أطفال الأرض.

أولمرز: ماذا تعتقدين أنك ستفعلينه حقاً لأولئك المهملين من الأطفال؟

ريتا: ان لم أستطع فسأحاول أن أخفف ـــــ وأرفع نصيبهم في الحياة.

أولمرز: اذا استطعت فعل ذلك ـــــ فلم تكن اذن حياة ايولف عبثاً.

ريتا: ولا يكون انتزاعه منا أيضا عبثاً.

أولمرز: (ينظر اليها نظرة ثابتة) تأكدي تمام التأكد يا ريتا من شيء واحد ـــــ هو أنه ليس الحب الذي يدفعك الى ذلك.

ريتا: كلا، ليس الحب ـــــ على كل حال، ليس هو تماماً.

أولمرز: ماذا اذن؟

ريتا: (في شبه مواربة) كنت غالباً ما تحدث آستا عن المسئولية الانسانية ـــــ

أولمرز: عن الكتاب الذي تكرهينه.

ريتا: وما زلت أكرهه، ولكني اعتدت أن أجلس وأسمع ما تقوله لها، وسأحاول الآن أن أتمه ـــــــ بطريقتي.

أولمرز: (يهز رأسه) ليس من أجل ذلك الكتاب الذي لم يتم ـــــــ

ريتا: كلا، هناك سبب آخر.

أولمرز: وما هو؟

ريتا: (بنعومة وهي تبتسم في غم) أريد أن أرتاح كما تعلم من العيون المفتوحة المتسعة.

أولمرز: (مصدوماً وقد ثبت أنظاره عليها) ربما استطعت أن أجاريك في ذلك، وأن أساعدك يا ريتا؟

ريتا: أتفعل؟

أولمرز: نعم ـــــــ اذا تأكدت فقط من أنني أستطيع.

ريتا: (في صوت لا يكاد يسمع) نعم، فلنحاول يا ألفريد.

(يصمتان، ثم يذهب أولمرز الى السارية ويرفع العلم المنكس الى أعلى السارية بينما تقف ريتا الى جانب المنزل الصيفي ناظرة اليه في صمت).

أولمرز: (يتقدم ثانية) أمامنا يوم مثقل بالأعمال يا ريتا.

ريتا: سترى ـــــــ أننا بين وقت وآخر سنجد يوم سبت نرتاح فيه.

أولمرز: (بهدوء وانفعال) وربما عرفنا اذ ذاك أن الأرواح معنا.

ريتا: (تهمس) الأرواح؟

أولمرز: (كما كان قبلا) نعم، ربما يكونون حوالنا ـــــــ هؤلاء الذين فقدناهم.

ريتا: (تحني رأسها في بطء) ابننا الصغير ايولف، وأيضا ايولفك الكبير.

أولمرز: (يحملق في الفضاء أمامه) بين وقت وآخر، ربما استطعنا ـــــــ في طريق الحياة ـــــــ أن نراهم في نظرة عابرة.

ريتا: وأين نراهم يا ألفريد؟

أولمرز: (يثبت أنظاره عليها) هناك في الأعالي.

ريتا: (تحني رأسها في قبول) نعم، نعم ـــــــ في الأعالي.

أولمرز: في الأعالي ـــــــ نحو القمم، نحو النجوم، ونحو الصمت التام.

ريتا: (تعطيه يدها) شكراً!

(ستار)

الفـــــهـــــرس

مقدمة هنريك إبسن بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
أشخاص المسرحية
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث